[ق: ١٦ ـ ١٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

ابن آدم! يوم القيامة تجد ما عملت محضراً، قد سجل عليك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر قد أحصاه الله ونسوه، فمن وجد في صحيفته خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، فالمسلم يا عباد الله إذا وقف بين يدي الله ﷻ ونظر في كتابه وجد ما يسره، ووجد ما يفرحه، فيخرج على الناس وقد أخذ كتابه بيمينه فيقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠)﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠].

أما المجرم والعاصي: فإذا نظر في كتابه، ووجد ما عمل محضراً، ساءه ذلك وندم في وقت لا ينفع فيه الندم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف: ٤٩].

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله، فرسولنا ﷺ ربى أصحابه على مراقبة الله ﷻ.

- فهذا أبو ذر يقول: (أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني).

- وهذا ابن عمر رضي الله عنه يقول: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من

صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[١].

● وجاء رجل يقول: يا رسول الله حدثني بحديث، واجعله موجزاً، فقال له ﷺ: «**صَلِّ صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك**»[٢].

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله ﷻ لتبتعد بذلك عن المعاصي:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبنَّ الله يغفل ساعة ولا أنَّ ما يخفى، عليه يغيبُ

● فهذه امرأة في الصحراء يراودها أعرابي؛ أي: يريد أن يزني بها يقول لها: لا تخافي، فإنه لا يرانا إلا الكواكب!! فقالت الأعرابية له: ويحك!! وأين رب الكواكب؟!.

● وهذه امرأة تقول لابنتها: اخلطي اللبن بالماء، فتقول الفتاة: يا أماه إن عمر ينهى عن ذلك، فتقول الأم لابنتها: إن عمر لا يرانا، فقالت الفتاة لأمها: إذا كان عمر لا يرانا فرب عمر يرانا.

ابن آدم! رب نفسك على مراقبة الله لتكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله.

يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**» ـ أتدرون لم عدل؟ لأنه يعلم أن الله يراه، ويعلم أنه سيموت، ويعلم أن المظلوم إذا دعا استجاب الله له ـ «**وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**»[٣].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٥٣).
(٢) **حسن**: طس: (٤/٣٥٨)، [«ص.ج» (٣٧٧٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (١٣٥٧)، م: (١٠٣١).

ثم يقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**واحسب نفسك مع الموتى**»؛ أي: اعدد نفسك مع الموتى.

ابن آدم! احسب نفسك من الآن مع الموتى، وفي تعداد الموتى؛ لأنك والله ستموت عاجلاً أم آجلاً، والموت يأتيك بغتة، فالله قد كتب الموت على كل المخلوقات، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦].

ابن آدم!

نسيرُ إلى الآجالِ في كلِّ لحظةٍ ... وأيامُنَا تُطْوى وهنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً ... كأنهُ إذا ما تخطتْهُ الأمانيُّ باطلُ
وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصبا ... فكيفَ بهِ والشيبُ للرأسِ شاعلُ
ترحلْ منَ الدنيا بزادٍ من التُّقَى ... فعمرُكَ أيامٌ وهُنَّ قلائلُ

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى؛ لأن الموت يبحث عنك أينما كنت، وأينما وجدت، ليختطفك إذا انتهى الأجل كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ﴾ [الجمعة: ٨]، فإنه ملاقيكم في الغنى ليأخذكم، ملاقيكم في المنصب ليأخذكم، ملاقيكم في الجو ليأخذكم، ملاقيكم على الأرض ليأخذكم، ملاقيكم في البحر ليأخذكم. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٨]. وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ﴾ [النساء: ٧٨].

ابن آدم!

لا شيءَ مما ترى تبقى بشاشتُهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تُغْنِ عن هرمزٍ يوماً خزائنُهُ ... والخلدَ قدْ حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياحُ له ... والإنسُ والجن فيما بينها تردُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزتِها ... منْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يفدُ
حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من ورده يوماً كما وردوا

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى، لتعد الزاد للرحيل قبل يوم الرحيل، فالعمر معدود، والأجل محدود، فهناك من صلّى معنا في الجمعة الماضية وقد جاءت عليه هذه الجمعة وإذ هو تحت الثرى! انتقل إلى الدار الآخرة، وغداً نكون نحن أيضاً تحت التراب، ويكون غيرنا فوق التراب، وإنما هي آجال وإذا انتهى الأجل فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

ابن آدم!

تـزودْ مـنْ مـعـاشِـكَ لـلـمـعـادِ ... وقـــمْ للهِ واجـــمـــعْ خـــيـــرَ زادِ
ولا تـجـمـعْ مـنَ الـدنـيـا كـثـيـراً ... فـإن الـمـالَ يُـجْـمَـعُ لـلـنـفـادِ

ابن آدم:

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هلْ تعيشُ إلى الفجرِ
فكمْ منْ صحيح ماتَ منْ غيرِ علةٍ ... وكمْ منْ عليلٍ عاشَ حينا منَ الدهرِ
وكمْ منْ صغارٍ يُرْتجَى طولُ عمرهم ... وقدْ أُدخلتْ أجسامُهُم ظلمةَ القبرِ
وكم منْ فتىً يُمسي ويُصبح ضاحكاً ... وقد نُسجت أكفانُه وهوَ لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدرِ

ابن آدم! احسب نفسك مع الموتى، لتكون مستعداً للموت، وللرحيل قبل يوم الرحيل.

عباد الله! ويقول ﷺ في وصيته التي معنا: «**واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة**».

فيا أيها الظالم، يا من تظلم الناس بمالك، يا من تظلم الناس بمنصبك، يا من تظلم الناس بصحتك، يا من تظلم الناس بلسانك. أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**»[1].

---

(١) **حسن لغيره**: حم: (٢/ ٣٦٧)، لس: (٢٣٣٠)، ش: (٦/ ٤٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٢٩)].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[١].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٢].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة**»[٣].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم؛ وإن كان كافراً؛ فإنه ليس دونها حجاب**»[٤].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**واتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»[٥].

أيها الظالم يقول لك ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾»[٦] [هود: ١٠٢].

أيها الظالم، إن الله ليملي للظالم، يستدرجه، ويعطيه حتى إذا أخذه لم يفلته، كيف أخذ ربنا القرى وهي ظالمة؟ كيف أخذ ربنا الجبابرة وقد ظلموا؟ كيف أخذ الله الظلمة؟ كيف أخذ الله الذين ملئوا الأرض فساداً؟

ابن آدم!

لا تظلمَنَّ إذا ما كنتَ مقتدراً ... فالظلمُ يَرْجعُ عُقباه إلى الندمِ

(١) **حسن لغيره**: طب: (٤/ ٨٤)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٣٠)]

(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٦)، م: (١٩).

(٣) **صحيح**: ك: (١/ ٨٣)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٢٨)].

(٤) **حسن**: حم: (٣/ ١٥٣)، [«ص.ج» (١١٩)].

(٥) **صحيح**: م: (٢٥٧٨).

(٦) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

تنامُ عيناك والمظلومُ منتبهٌ يدعو عليكَ وعينُ اللهِ لم تنمِ

أيها الظالم، إياك أن تظن بأنك ستنام، إياك أن تظن بأنك ستستريح، حتى وإن نمت أيها الظالم فاعلم أن المظلوم منتبه قد سهر الليل، توضأ وقام في جوف الليل، يرفع شكواه إلى من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يرفع شكواه إلى الذي يجيب المضطر إذا دعاه، فإذا دعا عليك المظلوم أيها الظالم استجاب الله له، فاتقِ الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، يقول الله ﷻ لكل ظالم: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

عباد الله! والله من أراد النجاة فعليه أن يأخذ بهذه الوصية، وأن يعمل بها، وأن يعض عليها بالنواجذ حتى يخرج من هذه الدنيا على خير وسلامة.

ابن آدم! **«اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، واحسب نفسك مع الموتى، واتق دعوة المظلوم؛ فإنها مستجابة».**

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يحفظنا وإياكم من الظلم، وأن ينجينا وإياكم من كيد الظالمين

❁ ❁ ❁

١٠٧

الوصية السادسة والثلاثون:
«ثلاثة لا يكلمهم الله...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السادسة والثلاثين:

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»، قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله؟ قال: «**المُسْبِلُ إزاره، والمَنَّانُ، والمُنَفِّقُ سلعتَهُ بالحِلف الكاذب**»[(١)].

عباد الله! هذه مخالفاتٌ، الكثيرُ منا من يقع فيها، فالعاقل هو الذي يتذكر، والله عز وجل واسع المغفرة، والله عز وجل يعفو عما سلف، ومن تاب تاب الله عليه. ولعل الكثير منا يقع فيها إما جهلاً وإما عناداً أو تكبراً. ولكنها الذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية العظيمة يحذر أمته من أمور ثلاثة تقرب صاحبها من سخط الله ومن النار، ورسولنا ﷺ كما أخبرنا ربنا في كتابه عنه أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، ما ترك ﷺ خيراً يقرب أمته من رضى الله والجنة إلا وأخبرهم به، وما ترك شراً يقرب أمته من سخط الله والنار إلا وحذرهم منه.

---

(١) **صحيح**: م: (١٠٦).

ومن الأمور التي تقرب العبد من سخط الله والنار:

١ ـ الإسبال.

٢ ـ المن بالعطية.

٣ ـ إنفاق السلعة بالحلف الكاذب.

عباد الله! يقول ﷺ عن هؤلاء الثلاثة: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة**»؛ أي: لا يكلمهم كلام رحمة، لا يكلمهم كلاماً ينفعهم ويسرهم، وإن كان الكلام ثابتاً فإن الله ﷻ يكلم الناس يوم القيامة. يقول ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**»[1]، ولكنه سبحانه لا يكلم هؤلاء كلام رحمة، ولا كلاماً ينفعهم أو يسرهم، ولا ينظر إليهم؛ أي: نظر رحمة، ولا يزكيهم؛ أي: لا يطهرهم من دنس المعاصي، ولهم عذاب أليم؛ أي: مُوْجعٌ يصل إلى جلودهم وإلى قلوبهم.

عباد الله! وهذا الوعيد الشديد لهؤلاء الثلاثة يدل على أنهم من أهل الكبائر، ويدل أيضاً على أن هذه الأعمال: وهي إسبال الإزار، والمن بالعطية، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب من كبائر الذنوب؛ لأن الكبيرة كما عرَّفها ابن عباس رضي الله عنه هي: (ما يترتب عليه حدٌّ في الدنيا، أو عقوبةٌ في الآخرة).

عباد الله! يقول أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله: قال ﷺ: «**المُسْبِلُ إزاره، والمنان** ...» الحديث.

فالخاسر الأول: هو المسبل، أتدرون من هو المسبل يا عباد الله؟ المسبل: هو الذي أرخى إزاره أو ثوبه دون الكعبين. والكعب: هو العظم الناتئ في قدم الإنسان، وفي كل قدم كعبان. فإذا زاد الإنسان في ثيابه، في بنطاله، في عباءته، عن الكعبين فهذا هو المسبل الذي توعده الرسول ﷺ بهذا الوعيد.

---

(١) **صحيح**: خ: (٧٠٧٤)، م: (١٠١٦).

عباد الله! نِعَمُ الله علينا كثيرة وكثيرة جداً ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. ومن نعم الله علينا الطعام والشراب واللباس، والإنسان المسلم في هذه الدنيا يأكل ويشرب من الطيبات ما يشاء، ولكن في حدود الشرع، وفي حدود ما أحل الله، وكذلك فإن المسلم في هذه الدنيا يلبس ما شاء ويتزين بما شاء ولكن في حدود الشرع، وفي حدود الحلال. وقد جاء الإسلام واشترط شروطاً ثمانية في لباس الرجل وها هي بين أيديكم فخذوها وعوها واعرضوا ثيابكم وملابسكم على هذه الشروط فإن وافقت فقولوا: الحمد لله، وإن خالفت ـ وأظن أَن الكثير منا يقع في مخالفتها ـ فها أَنا أُذكر، والذكرى تنفع المؤمنين.

عباد الله! **شروط ثمانية يجب أن تتوفر في لباس الرجل:**

الشرط الأول: أن يستر عورة الرجل. يشترط في لباس الرجل: أن يستر عورته استجابة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ أي: استروا عوراتكم عند كل مسجد، فقد كانوا في الجاهلية يطوفون حول الكعبة عراة، فأنزل الله عليهم: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد؛ أي: استروا عوراتكم عند كل مسجد، وعورة الرجل من سرته إلى ركبته قال ﷺ: «**ما بين السرة والركبة عورة**»[(١)]، ورأى ﷺ رجلاً كشف عن فخذه فقال ﷺ: «**غط عن فخذك فإن الفخذ عورة**»[(٢)].

الشرط الثاني: ألا يشبه لباس النساء؛ لأن رسول الله ﷺ «**لعن المتشبهين من الرجال بالنساء**»[(٣)]، «**ولعن ﷺ الرجل يلبس لبسة**

---

(١) **حسن**: ك: (٣/ ٦٥٧)، طس: (٧/ ٣٧٢)، طص: (٢/ ٢٠٥)، [«ص.ج» (٥٥٨٣)].
(٢) **صحيح**: ت: (٢٧٩٨)، حم: (٣/ ٤٧٩)، طب: (٢/ ٢٧١)، عب: (١١/ ٢٧)، [«ص.ج» (٧٩٠٦)].
(٣) **صحيح**: خ: (٥٥٤٦).

المرأة»[(١)]، وقال ﷺ: «**ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال**»[(٢)].

الشرط الثالث: ألا يشبه لباس الكفار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين فقال له ﷺ: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**إياكم ولباس الرهبان فإنه من ترهَّب أو تشبه فليس مني**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[(٥)].

الشرط الرابع: ألا يكون ثوب شهرة، بأن يرتدي الرجل ثوباً ثميناً غالياً يشتهر به، أو يرتدي ثوباً مقطعاً كأنه زاهد ليعرف به، قال ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه ناراً**»[(٦)].

الشرط الخامس: ألا يكون من الحرير؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[(٧)]، وقال ﷺ: «**إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة**»[(٨)]؛ أي: لا نصيب له عند الله يوم القيامة.

الشرط السادس: ألا يكون من مال حرام، والكثير منا لبس من الربا، ولبس من الرشوة، ولبس من الغش، ولبس من الكذب، فيشترط في لباس الرجل ألا يكون من الحرام، لقوله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا**

---

(١) **صحيح**: د: (٤٠٩٨)، حم: (٢/ ٣٢٥)، حب: (٥٧٥١)، طس: (١/ ٢٩٦)، ك: (٤/ ٢١٥)، هب: (٦/ ١٦٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٦٩)].
(٢) **صحيح**: حم: (٢/ ١٩٩)، حل: (٣/ ٣٢١)، [«ص.ج» (٥٤٣٣)].
(٣) **صحيح**: م: (٢٠٧٧).
(٤) **ضعيف**: طس: (٤/ ١٧٨)، [«السلسلة الضعيفة» (٣٢٣٤)].
(٥) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (٨/ ١٧٩)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].
(٦) **حسن**: هـ: (٣٦٠٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٠٨٩)].
(٧) **صحيح**: خ: (٥٤٩٤)، م: (٢٠٧٣).
(٨) **صحيح**: خ: (٥٤٩٧).

يقبل إلا طيباً... ثم ذكر ﷺ الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام ـ وهذا هو الشاهد ـ **وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك»**[(١)].

الشرط السابع: ألا يزيد على الكعبين ولا يجره خيلاء لقوله ﷺ: «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**»[(٢)]، ولقوله ﷺ في الوصية التي معنا: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وذكر منهم المُسْبل إزاره**»، لقوله ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[(٣)]، وقوله ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه مُرَجِّلُ جمته** ـ أي: مسرح رأسه ـ، **إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[(٤)].

أمة الإسلام! هذه شروط سبعة في لباس الرجل، هذا في غير الصلاة، أما في حالة الصلاة فتزيد **شرطاً ثامناً**: وهو: أن يستر عاتقه؛ أي: أن يستر منكبيه؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**لا يصلي أحدكم في الثوب الواحد ليس على عاتقيه منه شيء**»[(٥)].

عباد الله! هذه شروط ثمانية يجب أن تتوفر في لباس الرجل فكل منا يعرض لباسه على هذه الشروط الشرعية التي ذكرتها من كتاب ربنا ومن سنة نبينا ﷺ، والذكرى تنفع المؤمنين، ومن تاب تاب الله عليه والله واسع المغفرة. فالكثير من الناس في هذا الزمان العجيب تشبهوا بالكفار، وأصبحوا لا يبالون بحال ثيابهم، فترى الرجل يأتي إلى المسجد يصلي وثيابه تجر على الأرض إما جهلاً بالحكم الشرعي ـ وقد عُرِف ـ وإما عناداً منه وتكبراً، المهم أنك الآن قد علمت يا ابن آدم حكم الإسبال.

---

(١) **صحيح**: م: (١٠١٥).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٤٥٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٤٦٥)، م: (٢٠٨٥).
(٤) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).
(٥) **صحيح**: خ: (٣٥٢)، م: (٥١٦).

الخاسر الثاني: يقول ﷺ: «**والمنان**»، **المنان**: هو الذي يمن بالعطية، إذا عمل معروفاً أو أعطى إنساناً شيئاً يمن عليه في مجالسه وكتبه، وهذا المن عذابه أليم، وإثمه عظيم، كما جاء في وصية هذا اليوم التي قال فيها النبي ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**» وذكر منهم المنان، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى**»[١].

• المن يُذهب الثوابَ والأجرَ، قال ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فالأذى يحبط الأجر، ويذهب الثواب، فإياك والمن وإذا أعطيت أو فعلت خيراً فاحتسب الأجر عند الله يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

• المنُّ يؤذي القلوب أشد من إيذاء السيوف، قال الإمام الشافعي:

لا تحملن من الأنام ... بأن يمنوا عليك منةْ

واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جنةْ

منن الرجال على القلوب ... أشد من وقع الأسنةْ

أي: أشد من ضرب السيوف.

وقال آخر وهو ينشد:

وصاحبٍ سلفت منه إليَّ يدٌ ... أبطأ عليه مكافاتي فعاداني

لما تيقن أن الدهر حاربني ... أبدى الندامة مما كان أولاني

أفسدت بالمن ما قدمت من حَسَنٍ ... ليس الكريم إذا أعطى بِمَنَّانِ

وقد أخبرنا الله عن أهل الجنة أنهم إذا أطعموا أطعموا لله، وإذا أعطوا أعطوا لله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٩، ١٠].

---

(١) **صحيح**: ن: (٢٥٦٢)، هق: (٨/ ٢٨٨)، [«ص.ج» (٣٠٧١)].

عباد الله! يقول أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «**المسبل إزاره، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**».

فالخاسر الثالث: هو المنفق سلعته بالحلف الكاذب.

عباد الله! المال فتنة عظيمة كما قال ربنا جل وعلا: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال ﷺ: «**إن لكل أمةٍ فتنة، وإن فتنة أمتي المال**»[(١)].

وقد افتتن بالمال الكثير من الناس في هذا الزمان فلا شغل لهم إلا أن يجمعوا المال بالغش، بالرشوة، بالكذب، بالظلم، بكل الأساليب المباحة وغير المباحة، المهم عندهم أن يجمعوا المال، والناظر إلى الناس بعين البصيرة في هذا الزمان يرى أنهم ينامون على ذكر المال، ويستيقظون على حب المال، ويسافرون من أجل المال، ويجلسون من أجل المال، ويجتمعون من أجل المال، يحبون من أجل المال ويبغضون من أجل المال، والرجل يخسر أخاه من أجل المال، والولد يعق والده من أجل المال، والأم تدعو على ابنها من أجل المال؛ فتنة عظيمة افتتن بها الكثير، ومن الأساليب المحرمة التي افتتن بها الناس ووقع فيها الكثير من التجار أنهم ينفقون سلعهم بالحلف الكاذب؛ أي: لا يبيع ولا يتاجر إلا بالحلف الكاذب. يحلف أيماناً كثيرة وهو يعلم في قرارة نفسه أنه كاذب.

والرسول ﷺ يقول: «**إياكم وكثرة الحلف في البيع، فإنه ينفق ثم يمحق**»[(٢)]؛ أي: أنك ستبيع أيها التاجر باليمين الكاذب، ثم تمحق؛ أي: تمحق البركة؛ أي: يمحق المال، وكم من التجار اليوم رفع يديه وأعلن الإفلاس لأنه كان يكذب ويبيع بالكذب، وبالأيمان الكاذبة، وكان يأكل

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٣٦)، حم: (٤/ ١٦٠)، حب: (٣٢٢٣)، ك: (٤/ ٣٥٤)، طب: (١٩/ ١٧٩)، هب: (٧/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (٢١٤٨)].

(٢) **صحيح**: م: (١٦٠٧).

الحرام وقد ملئت السجون منهم بعد ما كانوا يشار إليهم بالبنان لكثرة أموالهم، ولكن من أكل الحرام سراً فضحه الله على رؤوس الخلائق في الدنيا ويوم القيامة.

وقال ﷺ: «**الحلف منفقة للسلعة ممحقة للربح**»[(١)]، وقال ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما**»[(٢)]، وخرج ﷺ على الناس وهم يتبايعون في السوق فقال: «**يا معشر التجار!**» فاستجابوا ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال ﷺ: «**إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق**»[(٣)].

فيا معشر التجار إياكم وكثرة الحلف في البيع، وعليكم بالصدق، ويا معشر التجار ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] و«**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**»[(٤)].

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يحفظنا وإياكم من الوقوع في الذنوب والمعاصي

❁ ❁ ❁

---

(١) **صحيح**: خ: (١٩٨١)، م: (١٦٠٦).
(٢) **صحيح**: خ: (١٩٧٣)، م: (١٥٣٢).
(٣) **صحيح لغيره**: ت: (١٢١٠)، هـ: (٢١٤٦)، مي: (٢٥٣٨)، حب: (٤٩١٠)، ك: (٨/٢)، طب: (٤٤/٥)، هب: (٢١٩/٤)، [«ص.غ.هـ» (١٧٨٥)].
(٤) **صحيح**: خ: (٥٧٤٣)، م: (٢٦٠٧).

١٠٨

الوصية السابعة والثلاثون: «اتقِ المحارم تكن أَعبدَ الناس...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية السابعة والثلاثين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم من يعمل بهن**»؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله! فأخذ بيدي فعدّ خمساً وقال: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب**»[(١)].

عباد الله! وصية عظيمة من رسول عظيم أشهد أنه كما وصفه ربه: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ما ترك خيراً يقربنا إلى رضا الله والجنة إلا وأرشدنا إليه، وما ترك شراً يقربنا من سخط الله والنار إلا وحذرنا منه.

عباد الله! في وصيته ﷺ التي تحدثنا عنها في الجمعة الماضية حذرنا ﷺ من أمور تقربنا من سخط الله والنار وهي: **إسبال الإزار، والمن بالعطية، وإنفاق السلعة بالحلف الكاذب.**

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٢٣٠٥)، حم: (٢/ ٣١٠)، طس: (٧/ ١٢٥)، ع: (١١/ ١١٣)، هب: (٧/ ٧٨)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٤٩)].

وفي وصية اليوم يدلنا ﷺ على أعمال صالحة تقرب من رضا الله والجنة فيقول ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات؟**» وهذا ترغيب منه ﷺ في تعليم العلم الشرعي، ثم يقول ﷺ: «**فيعمل بهن**»، وهذا حض منه ﷺ على أن نعمل بما تعلمنا، ثم يقول ﷺ: «**أو يُعلِّم من يعمل بهن**»، وهذا ترغيب في تعليم الناس ما تعلمنا من خير.

والإنسان يا عباد الله، الذي تعلَّم علم الكتاب والسنّة وعمل بما تعلَّم، وعلَّم الناس ما تعلم، فهذا هو العالم الرباني الذي يدعى في السماء عظيماً، وهذا هو الذي ينجي نفسه من الخسران المبين الذي كتبه الله على جنس بني الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾؛ أي: إن بني الإنسان جميعاً لفي خسر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، والإيمان يحتاج إلى علم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ أي: عملوا بما تعلموا ـ فبعد أن تعلموا وعملوا الصالحات؛ أي: عملوا بما تعلموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر؛ أي: علَّموا الناس ما تعلَّموا ـ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر]؛ أي: صبروا على التعلّم، وعلى العمل بالعلم، وعلى تعليم الناس هذا العلم حتى خرجوا من هذه الدنيا على هذه الحال وهؤلاء هم الناجون.

عباد الله! بعد أن قال ﷺ: «**من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن، أو يعلِّم من يعمل بهن**» قال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا يا رسول الله، وفي هذا دليل على حرص الصحابة على معرفة الخير، وعلى تعليم الخير، وعلى العمل بالخير، والعاقل منا يا عباد الله هو الذي إذا سمع بوصية من وصايا المصطفى ﷺ أخذ بها، وعضّ عليها بالنواجذ، وعمل بها فيسعد بذلك في الدنيا والآخرة.

أمة الإسلام! يقول ﷺ في هذه الوصية العظيمة ـ التي بين أيدينا ـ: «**اتق المحارم تكن أعبد الناس**»؛ أي: اتق ما حرم الله يا ابن آدم؛ أي: ابتعد عما حرم الله؛ أي: اجتنب ما حرم الله، فالحرام ما حرمه الله

ورسوله وهو حرام إلى يوم القيامة، والله ﷻ قد أخبرنا في كتابه بما حرم علينا، نقول على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ومن الأمور التي حُرِّمت علينا وذكرت في السنّة على سبيل المثال لا على سبيل الحصر قوله ﷺ: «**إن الله حرّم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام**»[(١)]، وقال ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل خمر حرام**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٢١)، م: (١٥٨١).
(٢) **صحيح**: م: (٢٠٠٣).
(٣) **صحيح**: خ: (٤١٤٤)، م: (١٦٧٩).
(٤) **صحيح**: خ: (٢٥٠٢)، م: (١٤٤٧).

إخوة الإسلام! إنها محرمات حرّمها الله ورسوله علينا، فمن اتقى المحارم كان من أعبد الناس أتدرون لم يا عباد الله؟ لأن الإنسان إذا ابتعد عما حرّم الله طَهُرَ قلبه، وإذا طهر قلبه ازداد الإيمان، وإذا ازداد الإيمان في القلب دفع صاحبه إلى طاعة الله، فإذا أقبل الإنسان على طاعة ربه، وحرَّم ما حرم الله، وابتعد عما حرّم الله فهو من أعبد الناس، وهو من أتقى الناس، وهذه هي التقوى: أن تعبد الله ﷻ وأن تبتعد عما حرّم الله.

ثم يقول ﷺ: «**وارضَ بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس**».

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، فالله ﷻ قسَّم الأرزاق، وجعل هذا غنياً وهذا فقيراً لحكمة يعلمها الله، فارض بما قسم الله لك، ارضَ بالفقر إذا كنت فقيراً، واصبر عليه، وارضَ بالغنى إن كنت غنياً، واشكر يا عبد الله، واعلموا عباد الله أن الغنى غنى النفس، وليس عن كثرة العرض، فإنك ترى الكثير من أصحاب المئات، والألوف، ومن أصحاب الملايين ولكنهم من أفقر الناس، لم؟ لأن الواحد منهم لم يرض بما قسم الله له فتراه بالليل والنهار لا يريد إلا أنْ يجمع المال سواء من حله أو من غير حله، فتراه كشارب البحر لا يرتوي أبداً كلما شرب ازداد بشربه من الماء المالح عطشاً، وكذلك الغني الذي لم يرضَ بما قسم الله له تراه لا يرضى بالألف، ولا يرضى بالمئة ولا يرضى بالمليونين، ولكنه، دائماً يريد المزيد من المال، فنقول لهذا: ارض بما قسم الله لك.

وفي الوقت نفسه ترى فقيراً لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، ولكنه غني وذلك يدل على أن الغنى هو غنى النفس، كما قال ﷺ: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»[١].

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، وتذكر قول الرسول ﷺ وهو يقول: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٠٨١)، م: (١٠٥١).

فكأنما حِيْزَتْ له الدنيا بحذافيرها»(١).

يا من تصبح كل يوم بصحة وعافية أنت من أغنى الناس، وإن لم يكن معك مال وإن لم تعرف ذلك فاذهب إلى المستشفيات، وانظر إلى المرضى تراهم يريدون الصحة بكلِّ ما عندهم من مال.

- وتذكر يا عبد الله قول النبي ﷺ: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافا وقنَّعه الله بما آتاه**»(٢).

ابن آدم!

تـزودْ مـن مـعـاشِـكَ لـلـمَـعَـادِ ... وَقُـمْ للهِ وأجْـمَـعْ خَـيْـرَ زادِ
ولا تـجـمـعْ مـنَ الـدنـيـا كـثـيـراً ... فـإنَّ الـمَـالَ يُـجْـمَـعُ لـلـنَّـفَـادِ
أتَـرْضَـى أنْ تـكـونَ رَفِـيـقَ قَـوْمٍ ... لـهُـمْ زادٌ وأنْـتَ بـغـيـرِ زادِ؟!

ابن آدم!

لا شيءَ مما تَرَى تبقى بشاشتُهُ ... يَبْقَى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك، واعلم أَنك خارج من هذه الدنيا، وأنك تارك هذا المال خلفك، فقد جئت إلى الدنيا فقيراً لا تملك شيئاً، وكذلك فإنَّك تخرج منها فقيراً لا تملك شيئاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ابن آدم! أرضَ بما قسم الله لك، واعلم أَنك راجع إلى الله، وموقوف بين يدي الله، ومسئول عن هذا المال من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ يقول ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع ـ** وذكر منها ـ: **عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه**»(٣)؟.

---

(١) **حسن لغيره**: ت: (٢٣٤٦)، هـ: (٤١٤١)، خد: (٣٠٠)، هب: (٧/ ٢٩٤)، [«ص.غ.هـ» (٨٣٣)].

(٢) **صحيح**: م: (١٠٥٤).

(٣) **صحيح**: ت: (٢٤١٧)، مي: (٥٣٧)، حل: (١٠/ ٢٣٢)، [«ص.غ.هـ» (١٢٦)].

ابن آدم! ارضَ بما قسم الله لك تعش في الدنيا سعيداً، وتبتعد عن المعاصي وعما حرم الله، وأَمَّا إذا لم ترضَ بما قسم الله لك فستقع فيما حرّم الله، اسأل الذي أكل الربا لما أكل الربا؟ السبب أَنه لم يرضَ بما قسم الله له، اسأل الذي يسرق لمَ يسرق؟ السبب أنه لم يرضَ بما قسم الله له، اسأل الذي يرتشي، ويُطْعم نفسه وأولاده السحتَ، إسأله لم قبلت الرشوة، وقد حرّمها الله ورسوله؟ السبب أَنه لم يرضَ بما قسم الله له، فارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.

وإذا أردت يا ابن آدم أن تربي نفسك على هذه الخصلة الحميدة فانظر إلى مَنْ هو دونك في أمور الدنيا، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فهذا سبب يجعلك دائماً تربي نَفْسك على الرضا بما قسم الله لك.

عباد الله! ثم يقول ﷺ: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**».

• جاء الإسلام يأمر بالإحسان إلى الجار، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦].

• وأَمر ﷺ أمته بالإحسان إلى الجار، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»(١).

وهذه رسالة أوجهها إلى كل جارٍ أساء إلى جاره وإلى كل من يشتكي الناس منه عبر الهاتف بالليل والنهار، إلى جيران لهم قلوب ملؤُها الحقدُ، ولهم أعين يحسدون بها كأعين اليهود، ولهم ألسنة يقذفون بها كألسنة المنافقين.

نقول لهم: يقول ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره**»، وقال ﷺ في وصيته التي معنا: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**»، وقال ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله**

---

(١) **صحيح**: م: (٤٨).

خيرهم لجاره»[١]، وقال ﷺ: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنهُ سيُورِّثه»**[٢]، ولما جاء الإسلام يأمر بالإحسان إلى الجار جاء كذلك يُحذِّر من إيذاء الجار، سئل ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**» قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يَطْعَم معك**»، قيل: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[٣].

فمن أكبر الذنوب أن يزني الرجل بامرأة جاره، جلس ﷺ يوماً مع أصحابه فقال لهم: «**ما تقولون في الزنا؟** قالوا: حرام حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**، قال: **فما تقولون في السرقة؟** قالوا: حرام حرمها الله ورسوله فهي حرام. قال: **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره**»[٤]، وقال ﷺ: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[٥]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من لا يَأْمن جاره بوائقه**»[٦]، فنقول للذين يؤذون جيرانهم: اتقوا الله ﷻ فالرسول ﷺ يقول: «**وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً**» واتقوا الله ﷻ واعلموا أنكم ستموتون.

عباد الله! ثم يقول ﷺ في وصيته: «**وأَحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً**» خلق كريم، خلق طاهر، واللهِ لا يقدر عليه إلا الرجال، لا يقدر عليه إلا الأبرار، لا يقدر عليه إلا الصادقون، أن تحب للناس ما

---

(١) **صحيح**: ت: (١٩٤٤)، حم: (٢/ ١٦٧)، مي: (٢٤٣٧)، خز: (٢٥٣٩)، حب: (٥١٨)، ك: (١/ ٦١٠)، خد: (١١٥)، [«ص.ج» (٣٢٧٠)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٦٨)، م: (٢٦٢٥).

(٣) **صحيح**: خ: (٤٤٨٣)، م: (٨٦).

(٤) **صحيح**: خد: (١٠٣)، حم: (٦/ ٨)، طب: (٢٠/ ٢٥٦)، بز: (٦/ ٥٠)، هب: (٧/ ٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٥٤٩)].

(٥) **صحيح**: خ: (٥٦٧٠).

(٦) **صحيح**: م: (٤٦).

تحب لنفسك! فالإنسان بطبيعته لا يحب إلا نفسه، ولكن الإسلام يربي أهله على الأخلاق الحميدة وعلى أن يحب أحدنا للناس ما يحبه لنفسه، وهذه لا تكلفك كثيراً يا ابن آدم، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء، والذي يربي نفسه على هذه الخصلة الحميدة، وعلى هذا الخلق الحميد يستحق أن يدخل الجنة بسببها بعد الإيمان يقول ﷺ: «**من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه**»(١).

ابن آدم: أترضى أن يحسدك أحد، فيتمنى زوال ما عندك من نعمة؟

الجواب لا، إذن فلم تتمنى ذلك للناس؟ تحب لنفسك المال، أحب لغيرك، تحب لنفسك الصحة والعافية، أحب ذلك للمسلمين، هكذا رَبِّ نفسك يا ابن آدم، أما هؤلاء الذين يتمنون الدمار والخراب لإخوانهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، فنقول لهم يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»(٢).

عباد الله! ثم يقول ﷺ في هذه الوصية التي معنا: «**ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب**».

إخوة الإسلام! القلب مضغة صغيرة في الجسد، ولكنه إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله؛ أي: إذا حيى القلب حيى الجسد، وإذا مات القلب، مات الجسد وإن رأيناه يدب على الأرض.

ومن الأمور التي تميت القلوب وتقتلها:

الكفر بالله، والشرك، والنفاق، والكذب، وكثرة الضحك، وكثرة المعاصي.

عباد الله! وكثرة الضحك من المعاصي التي تظلم القلوب، والضحك

---

(١) **صحيح**: م: (١٨٤٤).

(٢) **صحيح**: خ: (١٣)، م: (٤٥).

حلال لا نحرمه يا عباد الله، فرسولنا ﷺ كان يضحك، والصحابة كانوا يضحكون أمام رسول الله ﷺ ولكن في حدود الشرع، وفي حدود المعقول، وفي حدود المباح، أما أن يبقى الرجل طوال يومه وليله يضحك بسبب وبغير سبب فهذا قد تعدى الحدود، وهذا نخشى عليه من موت قلبه.

نقول له: يا من تضحك بالليل والنهار لم تضحك؟! أجاءك نبأ أَنك من أهل الجنة؟! إذا كان الجواب لا فلم تضحك؟!

يا من تضحك هل جاءك نبأ أَنك فزت يوم القيامة عند الميزان؟! أجاءك نبأ أَنك نجوت على الصراط؟! أجاءك نبأ أَنك مع الصدِّيقين والشهداء؟! فلم تضحك؟!

يا ابن آدم! والله لو نظر أحدنا إلى حاله، أو إلى حال من حوله من المسلمين، أو إلى حال نساء المسلمين، والله ما ضحك، ولكن لا نقول كما تقول بعض الجماعات: لا تضحك حتى تقيم حكم الله في الأرض، فلقد تكلفوا ما ليس لهم به علم؛ فرسولنا ﷺ كان يضحك مع أصحابه في مكة، وكان يضحك مع أصحابه في المدينة قبل أن تقوم دولة الإسلام.

إنا لا نحرّم الضحك، ولكن نقول: الإسراف في الضحك حرام، كما أَنَّ الإسراف في الأكل والشرب حرام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ [الأعراف: ٣١].

ابن آدم! «اتقِ المحارم تكن أعبد الناس، وأرضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب إلى الناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب».

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يثبتنا وإياكم على الإيمان

١٠٩

الوصية الثامنة والثلاثون:
«لا تصاحب إلاَّ مؤمناً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثامنة والثلاثين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[1].

وصية واللهِ غالية يوجهها ﷺ إلى كل مسلم في كل بقاع الدنيا وفي كل زمان ومكان، الصحبة يا عباد الله، الخلة يا عباد الله، الجليس يا أمة الإسلام، فكم من إنسان اهتدى إلى كل خير بمصاحبة الصالحين، وكم من إنسان اهتدى إلى كل شر بجلساء السوء وبقرناء السوء.

عباد الله! الإنسان بطبيعته وفطرته لا يستغني عن الناس، ولا يستطيع أبداً أن يعيش منفرداً منعزلاً عنهم، ولا بد له أن يخالط الناس، ولا بد له أن يجالس الناس، ولا بد أن يكون له أصدقاء وجلساء، ولما كان الإسلام هو الدين الشامل الكامل الذي ارتضاه الله ديناً للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد نظم الإسلام شؤون الحياة كلها، فنظم علاقة الفرد مع ربه، ونظم علاقة الفرد مع الآخرين، والمسلم في هذه الدنيا ليس حراً في اتخاذ القرناء والأصدقاء وإنما هو مربوط بأوامر جاءت في الكتاب والسنة لاتخاذ القرناء والأصدقاء والجلساء، ولذلك جاءت

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٣٦)].

الأوامر عبر الكتاب والسنة تأمر بمصاحبة الصالحين الأخيار، وتنهى عن مجالسة الطالحين الأشرار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، أمرٌ بمجالسة الصالحين، وأمرٌ بالابتعاد عن الطالحين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

فالله يأمر بمجالسة الصالحين، وبمصاحبة الصالحين، وينهى عن مصاحبة قرناء السوء، وينهى عن مجالسة الأشرار، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»، ويقول ﷺ: «**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(١)، وفي رواية: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»(٢) فالأمر خطير، ولذلك قال القائل:

عن المرءِ لا تَسَلْ ... وسَلْ عَنْ قرينِهِ
فكلُّ قرينٍ ... بالمقارَن يَقْتَدي

وقال آخر:

أنتَ في الناس تُقَاسُ ... بالذي ٱخترتَ خَليلا
فاصحب الأخيارَ تعلو ... وتَنَل ذكراً جميلاً
صحبةُ الخاملِ تكسو ... مَنْ يُؤاخيه خمولا

وقال الآخر:

---

(١) **حسن**: د: (٤٨٣٣)، ت: (٢٣٧٨)، [«ص.ج» (٣٥٤٥)].

(٢) **إسناده جيد**: حم: (٢/ ٣٣٤)، ك: (٤/ ١٨٨)، لس: (٢٥٧٣)، هب: (٧/ ٥٥)، حل: (٣/ ١٦٥)، [«الموسوعة الحديثية»].

لا تـصـحـبْ أخـا الـجـهـلِ وإيـــــاكَ وإيـــــاهُ
فــكــمْ مــن جــاهــل أردى حــلـيـمـاً حـيـنَ يـلـقـاهُ
يـقـاسُ الـمـرءُ بـالـمـرءِ إذا مـــا هـــوَ مـــاشـــاه
ولـلـشـيءِ عـلـى الـشـيءِ مـقـايـيـسٌ وأشـبـاهُ
ولـلـقـلـبِ عـلـى الـقـلـبِ دلـيـلٌ حـيـنَ يـلـقـاهُ

كما قالَ ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجندةُ، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[١].

أمة الإسلام! جاء الإسلام يأمر بمصاحبة الأخيار، وينهى عن مصاحبة الأشرار أتدرون لم؟

لأن مصاحبة الصالحين تجر، إلى كل خير ولأن مصاحبة الأشرار تجر إلى كل شر.

ورسولنا الكريم ﷺ يمثل لذلك مثلاً رائعاً، فيقول ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإمَّا أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثةً**»[٢].

نعم والله فإنك إذا جالست الصالح استفدت منه على كل وجه، واستفدت منه دائماً حتى إذا تكلم وحتى إذا لم يتكلم، وإذا صاحبت الأشرار ضروك على كل وجه، وسحبوك إلى كل ضلال.

يا عباد الله، كل منا له قرناء فكم من إنسان سلك طريق الهداية وطريق الجنة بسبب مصاحبة الصالحين، وكم من إنسان سلك طريق الضلالة وطريق النار دار البوار بسبب مصاحبة الأشرار والعصاة الطالحين. دعونا يا عباد الله ننظر ونسأل هل ينتفع الصاحب بصاحبه إذا كان صالحاً؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٥٨)، م: (٢٦٣٨).
(٢) **صحيح**: خ: (٥٢١٤)، م: (٢٦٢٨).

وهل يصاب الإنسان بالسوء من قرين السوء إذا صاحبه؟ وأظن أن كلنا يعلم ذلك من واقعنا، فهذا لا يصلي بسبب قرناء السوء، وهذا يصلي بمجالسة الصالحين، هذا حلق لحيته بمجالسة الأشرار، وهذا أطلق لحيته بمصاحبة الصالحين، هذا أكل الربا بمصاحبة المرابين وهذا أكل الحلال بمصاحبة الصالحين.

عباد الله! اعلموا أن صحبة الصالح تنفع في الدنيا، وبعد الموت، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فالإنسان منا إذا صاحب الصالحين المخلصين دعوه إلى كل خير، فتعلم منهم في الدنيا مثلاً أحكام الصلاة، وتعلم منهم الإخلاص والكرم والشجاعة، وتعلم منهم خفض الجناح للمسلمين، وتعلم منهم الأعمال الصالحة، إذا دخل صاحبك المؤمن في بيتك غض بصره، وإذا أكل عندك دعا لك، وإذا خرج من عندك أثنى عليك، وإذا جلس في مجلس ذكرك بالخير، وإذا اغتابك أحد في المجلس دافع عنك بشدة طاعةَ لله ولرسوله.

إذا جلست مع القرين الصالح ذَكَّرك بالله إذا نسيت، وأعانك إذا ذكرت، وإذا رآك على معصية أمرك بالمعروف، ونهاك عن المنكر، إذا جلست وإياه مجلس في بيت من بيوت الله حفتك الملائكة، وغشيتك الرحمة، ونزلت عليك السكينة، فمجلسه مجلس رحمة، ولعل الله ﷻ أن يطلع على هذا المجلس فيقول: قوموا مغفوراً لكم.

إذن مصاحبة الصالح تنفعك: فهذا الرجل الذي قتل مائة نفس عندما جلس مع العالم، مع الرجل الصالح وقال للعالم: (قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ قال له العالم: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟) ـ فانظروا يا عباد الله دفعه إلى التوبة، وفتح أمامه باب التوبة، فاستفاد الرجل بمجالسة الصالح بأن تاب إلى الله، ثم قال له العالم: ـ (لا ترجع إلى أهلك، ولا إلى قريتك، ولا إلى قرناء السوء ولكن اذهب إلى البلدة

الفلانية فهناك اعبد الله مع أهلها) ـ، فأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، في نهاية الحديث ـ مات هذا الرجل في منتصف الطريق، واختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وفي النهاية أدخله الله الجنة)[١] وهو لم يسجد لله سجدة واحدة، من الذي نفعه يا عباد الله، مجالسة العالم، ومجالسة الصالح، فهذا قد انتفع في الدنيا بمجالسة الصالحين.

أما عند الموت: يا أيها المسلم، وأنت في فراش الموت إذا جاءك صاحبك المؤمن، وجلس عندك وأنت في فراش الموت، وأنت في اللحظات الأخيرة من هذه الدنيا ذكرَّك بالله، وذكرك برحمة الله، فجعلك بذلك تحسن الظن بالله، وإحسان الظن بالله عند طلوع الروح من أفضل الأعمال عند الله ﷻ.

فإذا جلس القرين الصالح عند أخيه، وروحه تخرج قال له: قل لا إله إلا الله، استجابة لأمر رسول الله: «**لقنوا موتاكم لا إله إلا الله**»[٢]؛ أي: لقنوهم عند طلوع الروح ـ وليس على القبر كما يفعل بعض العوام ـ، فالصالح يقول لقرينه عند الموت: قل يا أخي: لا إله إلا الله، فيقول الأخ: لا إله إلا الله، فيخرج من الدنيا على (لا إله إلا الله) ورسولنا ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**»[٣].

فانتفع هذا بصاحبه المؤمن عند طلوع روحه.

أما إذا كان الميت مرابياً، وجلس عنده المرابون فمن منهم سيقول له: قل لا إله إلا الله؟! فهذا القرين الصالح نفع صاحبه بأن ذكره برحمة الله، ولقنه لا إله إلا الله، فإذا مات الأخ قام هذا الصديق المؤمن على تغسيله، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه على السنة بعيداً عن البدع

---

(١) **صحيح**: خ: (٣١٧٠)، م: (٢٧٦٦).

(٢) **صحيح**: م: (٩١٦).

(٣) **صحيح**: د: (٣١١٦)، حم: (٥/٢٤٧)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

والخرافات، فانظروا عباد الله كم ينتفع الصاحب بصاحبه المؤمن حتى عند الموت.

أما بعد الموت: فالصديقُ المؤمنُ يدعو لأخيه الذي مات بظهر الغيب كما قال ربنا جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

فالقرين الصالح يدعو لك بعد موتك، ويتفقدك بالزيارة في قبرك ويدعو لك هناك، ويتفقد أولادك من بعدك باللطف، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالحنان والعطف، فتنتفع منه في الدنيا وعند الموت وبعد الموت.

أما يوم القيامة: فالقرين الصالح لا ينسى أخاه أبداً يوم القيامة وكل صداقة تنقلب عداوة يوم القيامة إلا ما كانت لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧] إلا المتقين، اللذين تحابا في الدنيا في الله، ويوم القيامة يكونان معاً في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر منهم ـ: «**رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه..**»[1].

إخوة الإسلام! الصاحب المؤمن ثروة عظيمة في الدنيا، وعند الموت، وبعد الموت، ويوم القيامة، أما قرين السوء فحدث عن ذلك ولا حرج، وتعالوا واسمعوا يا عباد الله، فهذا قرين السوء شؤم على قرينه في الدنيا، وعند الموت، وبعد الموت، ويوم القيامة.

أما في الدنيا فقرين السوء: يجرك إلى كل معصية، فبالله عليكم كم من مصلٍ ترك الصلاة بسبب قرين السوء؟ كم من إنسان لا يدخن دخن بسبب قرناء السوء؟ كم من إنسان لا يشرب الخمر شربها بسبب قرناء

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).

السوء؟ كم من امرأة متحجبة رفعت جلبابها وتبرجت بسبب قرناء السوء؟ كم من امرأة طاهرة أصبحت زانية وعاهرة ومغنية وراقصة بسبب قرناء السوء؟ قل في ذلك ولا حرج، قرين السوء يدعو قرينه إلى معصية الله والطيور على أشكالها تقع. ومن أضرار قرين السوء في الدنيا أنه يدعوك إلى الكفر بعد الإسلام، ويدعوك إلى البدعة بعد السنة، وهذا مثال وبالمثال يتضح البيان:

• هذا رجل في مكة على عهد رسول الله ﷺ كان كافراً، ولكن كان لا يؤذي النبي ﷺ، وكاد أن يدخل في الإسلام؛ بل قالوا: دخل في الإسلام وأسلم، وآمن، فعلم صديقه وقرينه بذلك وقد كان مسافراً إلى بلاد الشام فلما رجع إلى مكة، وعلم أن صاحبه قد أسلم أو فكر في الإسلام ذهب إليه، وأخذ يكلمه ويوبخه حتى ارتد عن الإسلام، وأمره أن يؤذي رسول الله ﷺ ففعل ما أملاه عليه قرين السوء وارتد عن الإسلام وآذى رسول الله ﷺ.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

أما عند الموت فقرين السوء: إذا جاءك وأنت في فراش الموت دعاك إلى الكفر بعد الإسلام، وإلى البدعة بعد السنة، وبالمثال يتضح البيان:

• (هذا أبو طالب نام في فراش الموت في لحظاته الأخيرة من الدنيا، وكان عنده أبو جهل لعنه الله، فلما علم رسول الله ﷺ بعمه جاء إليه وقال له: «**أي عم، قل: (لا إله إلا الله) كلمة أحاج لك بها عند الله**»، ـ وقرين السوء ـ أبو جهل يقول: ترغب عن ملة عبد المطلب؟ الرسول ﷺ يقول: «**يا عم، قل: لا إله إلا الله**»، ـ وقرين السوء ـ يقول: أترغب عن ملة عبد المطلب حتى خرجت روحه وهو يقول: لا بل على ملة

عبد المطلب؟ فخرج كافراً من هذه الدنيا بسبب قرين السوء، فقال ﷺ متألماً لخروجه من الدنيا على الكفر: «**لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنه**»، فأنزل الله على رسوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]. ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾)[١] [القصص: ٥٦].

قرين السوء تسبب في خروجه من الدنيا على الكفر.

وأما بعد الموت فقرين السوء: إذا جاء مع صاحبه إلى المسجد يُدْخل لنا الجنازة لنصلي عليها ويقفُ هو خارج المسجد، فبئس القرين، وبئس الصاحب، وكم نرى من الأصدقاء، ومن الأصحاب من يحمل صاحبه إلى المسجد للصلاة عليه، ويقف هو خارج المسجد ولا يدخل للصلاة على صاحبه، فبئس الصداقة، وبئس الصحبة، وبئس القرين؛ فإنهُ لم يدعُ له، ولم يصلِ عليه، لم يعرف حقه يا عباد الله، لم؟ لأنَّ صداقتهما كانت لغير الله.

أما يوم القيامة: فهذه الصحبة تنقلب إلى عداوة، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧]، يقول: القرين لقرينه: أنت أضللتني، ويقول الآخر: بل أنت أضللتني فيقول: كل منهما للآخر: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

فيا أخ الإسلام، لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي.

عباد الله! يقول ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢].

فليصدق كل منا مع نفسه طاعة لله ولرسوله، فلينظر أحدكم من يخالل، كل منا الآن ينظر إلى أصدقائه، وإلى أصحابه، وإلى جلسائه،

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٦٧١).

(٢) **إسناده جيد**: حم: (٢/ ٣٣٤)، [«الموسوعة الحديثية»] وقد تقدم تخريجه.

وكل منا يعرف قرناءه، وأصحابه، إن صاحبت الأخيار سحبوك إلى كل خير، وإن جالست الأشرار جروك إلى كل شر، فلينظر أحدكم من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنه من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنته من تخالل ـ والأخيره فرّط الكثيرُ منا فيها ـ فلينظر أحدكم إلى ابنه من يصاحب، من يجالس، ومن يأتي إليه، كل منكم ينظر إلى ولده من يصاحب؟ فإِنه إِنْ صاحب المدخنين فسيدخن، وإن كانوا من الزناة سيزني، وإن صاحب أصحاب السهرات الحمراء فسيذهب معهم، فلينظر أحدكم إلى ابنه من يخالل، ولينظر أحدكم إلى ابنته من تخالل؟ من تصاحب، من تجالس، من التي تأتي عندها، من التي تذهب هي عندها فكثير منا قد أعطى الحبل على الغارب، ومتى ينتبه؟ في اللحظات الأخيرة عند الضوء الأحمر، وعندها سيندم في وقت لا ينفع فيه الندم، إذا خرجت ابنتك من البيت، اعرفْ إلى أين تذهب، إذا كانت تصاحب صاحبة الجلباب فسترتدي الجلباب، إذا كانت تصاحب المتبرجة فستتبرَّج، إذا كانت تصاحب العفيفة فستتعلم العفاف، وإذا كانت تصاحب الزانية فستزني، وإذا كانت صاحبتها تمشي مع الشباب وتحب وتعشق فابنتك ستفعل ذلك، وستندم أنت في وقت لا ينفع فيه الندم، وستأتي لتضع العلاج في وقت لا ينفع فيه علاج.

ابن آدم! فهذه النصيحة خذها من رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»، لا يُصَاحِبْ ولدُك إلا مؤمناً، ولا يُدْخِلْ في بيتك إلا تقي، لا تصاحِبُ ابنتُك إلا مؤمنة، ولا تُدْخِل عندها إلَّا تقية.

ولذلك قال لقمان لابنه وهو يعظه: (يا بني، تخير المجالس على عينك، فإن وجدت قوماً يذكرون الله؛ أي: يعبدون الله، فاجلس معهم فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلعَ عليهم برحمة فتصيبَك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً، ولعل الله أن يطلعَ عليهم بنقمة فتصيبَك معهم).

عباد الله! الصاحبُ ساحب إما إلى الخير، وإما إلى الشر، إما إلى الهدى، وإما إلى الضلال، وتعالوا إلى أهل الجنة لنستمع ماذا يقول أحدُهم: وقد كان له في الدنيا قرين يدعوه إلى الكفر ولكنه لم يستجب له.

قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾ ـ أي في الدنيا ـ ﴿يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾ يدعوه إلى الإلحاد وإلى الكفر يقول له: ﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾، فقال هذا الرجل الصالح في الجنة لأصحابه في الجنة: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾؛ أي: رأى صاحبه الملحد في سواء الجحيم ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٧].

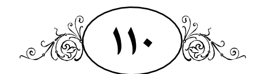
فانظروا عباد الله كان يدعوه إلى الكفر والإلحاد فلم يستجب له، ولو استجاب له لكان معه في سواء الجحيم، فكونوا من قرناء السوء على حذر.

والله ما انتكس تائب من بعد توبته إلا بسبب قرناء السوء.

«لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي»

اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه





الوصية التاسعة والثلاثون:
«مَنْ أحَبَّ للهِ، وأبغض لله...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية التاسعة والثلاثين:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**»[1]. نعم والله يا عباد الله؛ لأن الحب والبغض في الله ليس من الإيمان فحسب؛ بل هو أوثق عرى الإيمان، كما قال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله**»[2].

إخوة الإسلام! في الجمعة الماضية قلنا: إن المسلم ليس حراً في هذه الدنيا في اتخاذ الصديق والجليس، ولكن الإسلام قد أمره بمصاحبة المؤمنين وبمجالسة الصالحين الأتقياء.

كما قال ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[3]، وكذلك يا عباد الله فالمسلم ليس حراً في هذه الدنيا في حبه وبغضه، وفي

---

(١) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/ ١٣٤)، ش: (٧/ ١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

(٢) **صحيح**: لس: (٧٤٧)، طب: (١١/ ٢١٥)، ش: (٦/ ١٧٠)، هب: (٧/ ٧٠)، [«ص.ج» (٢٥٣٩)].

(٣) **حسن**: د: (٤٨٣٢)، ت: (٢٣٩٥)، حم: (٢٠٥٧)، حب: (٥٥٤)، ك: (٤/ ١٤٣)، [«ص.ج» (٧٣٤١)].

عطائه ومنعه، ولكن الإسلام يأمره ويوجهه أن يحب لله، وأن يبغض لله، وأن يعطي لله، وأن يمنع لله.

فالمسلم في هذه الدنيا يجب عليه أن يحب الأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين والشهداء؛ لأن الله يحبهم، ولأنهم على صراط الله المستقيم، وكذلك يجب على المسلم في هذه الدنيا أن يبغض أعداء الله، وأن يبغض الكفار والمشركين والمنافقين والعصاة والمبتدعة والمجرمين؛ لأن الله يبغضهم ولأنهم ليسوا على صراط الله المستقيم.

فالحب في الله، والبغض في الله، مسألة خطيرة جداً؛ لأنها من مسائل العقيدة، فالحب والبغض في الله من لوازم الولاء والبراء. والمسلم في هذه الدنيا يوالي أحباب الله ويعادي أعداء الله.

وقد أمرَنا الله ﷻ في كتابه أن نتأسى بإبراهيم عليه السلام والذين معه في الولاء والبراء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

عباد الله! الحب والبغض في الله ضاع في هذا الزمان ـ إلا عند من رحم ربي ـ واللهِ إذا نظرنا في أحوال المسلمين في هذا الزمان العجيب فسنرى أن الحب والبغض القائم بين الناس قائم إما على أمور الدنيا الفانية ـ فإذا ذهبت (أي: الدنيا) ذهب الحب والبغض ـ، وإما تحت الشعارات الكاذبة: ـ هذا حزبنا، هذه جماعتنا، هذه عشيرتنا، هذه دولتنا ـ، أما الحب في الله والبغض في الله فهو قليل جداً في هذا الزمان وكأننا أصبحنا في وادٍ، والإسلام في وادٍ آخر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عباد الله! انظروا إلى الصداقات، وانظروا إلى المجالس في هذا الزمان هل قامت على المحبة في الله وعلى البغض في الله؟ لا والله، إنهم يجتمعون على حب الدنيا، ويفترقون من أجل الدنيا، يجتمعون من أجل

الحزب والجماعة، ويحبون من أجل الحزب والجماعة، ويبغضون كذلك من أجل الحزب والجماعة.

عباد الله! ولذلك ـ أُذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين ـ فأقول: يا أمة الإسلام، الحب في الله والبغض في الله له ثمار عظيمة تعود على صاحبها بالخير في الدنيا والآخرة، وثمار الحب في الله والبغض في الله تكون على مستوى الأفراد والجماعات، فأقول: من ثمار الحب في الله والبغض في الله:

أولاً: أنه يجعلنا جميعاً حزباً واحداً وهو حزب الله.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، والميزان الذي يوزنُ به هذا الحزب هو موافقة الكتاب والسنّة ومنهج سلف الأمة، وليس الميزان هو التسمية فقط؛ لأن الأسماء لا تغير من حقائق المسميات شيئاً، فهذا «حزب الله» الشيعي وهو ليس حزب الله حقيقة؛ بل هو حزبٌ مبتدِع قائم على مخالفة الكتاب والسنّة وسبِّ وشتم سلف الأمة.

ثانياً: أنه يجعلنا إخوة في الله يحب بعضنا بعضاً، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] أشداء على الكفار؛ لأنهم جميعاً يبغضون الكفار في الله، وهم رحماء بينهم؛ لأنهم يحبون بعضهم بعضاً في الله، فانظروا عباد الله إلى السر في الحب في الله، والبغض في الله إنه يجعلنا أمة واحدة يحب بعضنا بعضاً.

ثالثاً: من ثمار الحب في الله أن الله ﷻ يحب المتحابين فيه.

قال ﷺ: قال ـ تعالى ـ: «**حقت محبتي على المتحابين فيَّ**»[١]،

---

(١) **صحيح**: حب: (٥٧٧)، ش: (٧/ ٤٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠١٩)].

وقال ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله ﷻ، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»(١).

رابعاً: أن الله ﷻ يظلّ المتحابين بجلاله في ظلّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

يقول ﷺ: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»(٢)، وقال ﷺ: «**سبعة يُظلُهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ـ وذكر منهم ـ: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»(٣).

خامساً: أن أهل الحب في الله يوم القيامة على منابر من نور، يقول ﷺ: «**يقول الله ﷻ: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**»(٤).

سادساً: أن المتحابين في الله يوم القيامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. يقول ﷺ: «**إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء**»، قيل: مَنْ هم؟ لعلنا نحبُّهم؛ قال: «**هم قومٌ تحابوا بنور الله، مِن غير أَرحام ولا أنساب، وجوههم نورٌ، على منابر مِنْ نور، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثمَّ قرأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾**»(٥) [يونس: ٦٢].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٥٦٧). (٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٦).
(٣) **صحيح**: خ: (٦٢٩)، م: (١٠٣١).
(٤) **صحيح**: ت: (٢٣٩٠)، [«ص.ج» (٤٣١٢)].
(٥) **صحيح**: حب: (٥٧٣)، ع: (١٠/ ٤٩٥)، هب: (٦/ ٤٨٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٢٣)].

سابعاً: من ثمار الحب في الله والبغض في الله، أن المتحابين يشعرون بحلاوة الإيمان في قلوبهم، يقول ﷺ: «**من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله**»(١). ويقول ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان** ـ ذكر منها ـ: **أن يحب المرء لا يحبه إلا لله**»(٢).

ثامناً: ومن ثمار الحب في الله والبغض في الله كما جاء في وصيته ﷺ التي معنا في هذا اليوم، حيث قال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»(٣).

تاسعاً: ومن ثمار الحب في الله والبغض في الله أَنه طريق إلى الجنة، يقول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**»(٤).

عباد الله! ثمار عظيمة نجنيها من الحب في الله، والبغض في الله، فهي قُربة واللهِ نتقرب بها إلى الله، فمن أحب لله وأبغض لله فليعمل جاهداً على أن يموت على ذلك؛ فهو شرف عظيم، وهو دليل الإيمان، وهو دليل العقيدة الصحيحة.

وهناك أسباب تزيد من الحب في الله، وها أنا أضعها بين أيديكم يا عباد الله لنزداد حباً على حبكم، وليكون الحب بيننا في الله ولله ﷻ.

فمن الأسباب التي تزيد الحب في الله:

أولاً: أن تخبر أخاك أنك تحبه في الله، أن تقول له: إني أحبك في الله، فيقول هو لك: أَحَبَّكَ الله الذي أحببتني من أجله، يقول ﷺ:

---

(١) **حسن**: حم: (٢/٢٩٨)، ك: (١/٤٤)، هب: (٦/٤٩١)، حل: (٤/١٥٤)، [«ص.ج» (٦٢٨٨)].

(٢) **صحيح**: خ: (١٦)، م: (٤٣).

(٣) **صحيح**: د: (٤٦٨١)، طب: (٨/١٣٤)، ش: (٧/١٣٠)، [«ص.ج» (٥٩٦٥)].

(٤) **صحيح**: م: (٥٤).

«إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه»[١].

وأُشْهِدُ الله على ما في قلبي أني أحبكم ـ يا من تأتون إلى هذا المسجد ـ في الله ﷻ وأحب كل من جاء منكم محباً لله، ولرسوله، ولمنهج أصحاب رسول الله ﷺ في هذا المسجد خاصة، وفي كل مساجد الدنيا عامة، والله يشهد على ما أقول.

فإذا أخبرت أخاك أنك تحبه في الله، فهذا يورث المحبة ويزيد من الألفة بينكما.

ثانياً: عليك أن تفشي السلام بين إخوانك، فإفشاء السلام على من عرفت من إخوانك ومن لم تعرف يزيد من المحبة، ولعل الكثير من شباب هذا العصر لا يلقي السلام إلا على من هو من حزبه أو على مَنْ هو على طريقته المبتدَعة!.

أمة الإسلام! أفشوا السلام بين إخوانكم: من عرفتم منهم، ومن لم تعرفوا، فالسلام لله، وهو اسم من أسماء الله.

يقول ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموهُ تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[٢].

ثالثاً: من الأشياء التي تزيد المحبة الهدية يقول ﷺ: **«تهادوا تحابوا»**[٣]، فإذا قدم أحدنا هدية متواضعة لأخيه في الله فهي تزيد من المحبة إن كانت لله، أما إذا قُدِّمت بنية أو بقصد غير ذلك فهي رشوة، وإن سماها الناس هدية.

---

(١) **صحيح**: د: (٥١٢٤)، ت: (٢٣٩٢)، حم: (٤/ ١٣٠)، حب: (٥٧٠)، ك: (٤/ ١٨٩)، خد: (٥٤٢)، طب: (٢٠/ ٢٧٩)، [«ص.ج» (٢٧٩)].

(٢) **صحيح**: م: (٥٤).

(٣) **حسن**: خد: (٥٩٤)، ع: (١١/ ٩)، هب: (٦/ ٤٧٩)، هق: (٦/ ١٦٩)، [«ص.ج» (٣٠٠٤)].

رابعاً: ومن الأشياء التي تزيد المحبة الزيارة، أن تتخوله بالزيارة لا تكثر، ولا تقلل، ولكن بَيْن ذلك كما قال ﷺ: «**زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً**»[(١)].

خامساً: من الأمور التي تزيد الحب في الله القصد في الحب والبغض، لقوله ﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»[(٢)].

سادساً: من الأمور التي تزيد المحبة في الله الطاعة لله والإخلاص لله.

فالإنسان إذا زاد من الطاعة، وأخلص لله ﷿ حببه الله إلى الناس وحبب الناس إليه ووضع له القبول في الأرض.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦]؛ أي: محبة ووداً بين الناس.

فعلى الإخوة أن يكثروا من الطاعات، ومن الأعمال الصالحة؛ فهي تزيد من المحبة بينهم في الله.

عباد الله! لما ذكرنا الأسباب التي تقوي المحبة، فمن العدل أيضاً أن نذكر الأسباب التي تفرق بين الأحبة:

أولاً: المعاصي والذنوب: فالمعاصي والذنوب تفرق بين الأحبة، يقول ﷺ: «**ما تواد اثنان في الله** ـ أي: ما تحابَّ اثنان في الله ـ **فَيُفَرَّق بينهما إلا بذنب يُحْدثه أحدهما**»[(٣)]. متى يبدأ الفراق؟ إذا اقترف أحدهما ذنباً في حق الله يُفَرَّق بينهما، فاحذروا المعاصي والذنوب يا معشر

---

(١) **صحيح**: ك: (٣/ ٣٩٠)، طب: (٤/ ٢١)، طس: (٣/ ٢٤٨)، طص: (١/ ١٨٧)، لس: (٢٥٣٥)، هب: (٦/ ٣٢٦)، حل: (٣/ ٣٢٢)، [«ص.ج» (٣٥٦٨)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٩٩٧)، خد: (١٣٢١)، طس: (٣/ ٣٥٧)، ش: (٧/ ٢٦٠)، هب: (٥/ ٢٦٠)، [«ص.ج» (١٧٨)].

(٣) **صحيح**: خد: (٤٠١)، حم: (٢/ ٦٨)، [«ص.ج» (٥٦٠٣)].

الإخوة، يا معشر الشباب، مثلاً: اثنان تحابا في الله أحدهما دخن (سيجارة) واحدة فَفُرِّقَ بينه وبين أخيه، اثنان تحابا في الله فوقع أحدهما في الكذب فَفُرِّقَ بينه وبين أخيه، اثنان تحابا في الله فاغتاب أحدهما الآخر فَفُرِّقَ بينهما، فاحذروا المعاصي يا عباد الله.

ثانياً: الاستماع للنمامين، وفتح الأبواب أمام النمامين وهذا سبب رئيسي يفرّق بين الأحبة، يقول ﷺ: «**ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بَيْن الأحبة، الباغون للبرآء العنت**»(١).

إخوة الإسلام! وهنا سؤال مهم وهو لماذا نحرص على الحب في الله والبغض في الله فقط؟ هل يؤثر ذلك على الأمة؟ الجواب: نعم.

أولاً: الحب في الله والبغض في الله يجعلنا كالبناء الواحد في تماسكه وقوته وترابطه كما قال ﷺ: («المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُ بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه)(٢)، ولا يمكن أبداً أن نكون كذلك إلا بالحب في الله، والبغض في الله كما قال ـ تعالى ـ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

ثانياً: الحب في الله والبغض في الله يجعلنا كالجسد الواحد في حساسيته، وتأثره يقول ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(٣). فنتأثر ونشعر بإخواننا في كل مكان، ولقد كانوا في الصدر الأول إذا اعتدي على أحد من المسلمين تأثر بذلك كل من على وجه الأرض من المسلمين فانظروا إلى حالنا اليوم: اعتداء على ديننا، اعتداء على كتاب ربنا، اعتداء على رسولنا، ومع ذلك نغط في نومنا ولا نحرِّك ساكناً ولا نملك إلَّا القيل والقال في المجالس، ولكن هل فكرتم لِمَ

---

(١) **حسن**: حم: (٦/ ٤٥٩)، [«الموسوعة الحديثية»] وقد تقدم تخريجه.
(٢) **صحيح**: خ: (٢٣١٤)، م: (٢٥٨٥).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٦٥)، م: (٢٥٨٦).

وصلنا إلى ذلك؟ فقد اعتدى علينا من كانوا لا يتكلمون إذا جلسوا بين المسلمين! من كانوا لا يمشون على الطريق إذا سار عليها المسلمون! فلماذا هم يتكلمون اليوم ويعتدون علينا؟ لأننا غثاءٌ كغثاء السيل لا قيمة لنا؛ لأننا تشبهنا بهم في لباسنا وفي أشكالنا، وفي بيوتنا، وفي نسائنا وبناتنا، فأصبحنا لا قيمة لنا، اعتز الأولون بالإسلام فأعزهم الله بالإسلام، ونحن قد اعتز كل منا بوطنه وعشيرته ومنصبه وجاهه وماله فأذلنا الله، ووالله لن تعود لنا العزة مرة ثانية حتى نعود إلىٰ ما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه من الحب في اللهِ والبغض في الله، وهذا ما سيجعلنا كالجسد الواحد حتى إذا اعتدى أحد على أحد من المسلمين، أو اعتدى على كتاب ربنا، أو على سنّة نبينا فإننا حينئذٍ سنتأثر جميعاً لذلك، ونقف وقفة رجل واحد في وَجْه هذا المعتدي.

واعلموا يا أمة الإسلام في كل مكان بأن هذا الدين هو دين الله، وأن هذا القرآن هو كتاب الله، ووالله إنْ لم نعد لديننا وإن لم نتمسك بديننا وإن لم نعتصم بقرآننا استبدل الله قوماً غيرنا ثم لا يكونوا أمثالنا جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، فالحب في الله والبغض في الله يجعلنا أمة واحدة، واسمعوا عباد الله قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم انظروا إلى حالنا الآن: رحماء على الكفار، أشداء بيننا، السبب أَننا في وادٍ، والإسلام في وادٍ آخر.

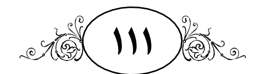
وأتعجب من الرجل يتكلم في المجالس عن الذين اعتدوا على قرآننا، ونبينا، أقول له: هل زوجتك وبناتك محجبات؟ يقول: لا، أقول له هل تصلي؟ يقول: لا، أقول له: هل تضع أموالك في البنك؟ يقول: نعم، أقول له: بأمثالك اعتدي علينا واعتدي على كتاب ربنا وعلى رسولنا ﷺ فهم قد ظنوا أن المسلمين جميعاً على شاكلة هذا العاصي، لا يا أمة الإسلام كلما عدنا إلى ديننا، وتمسكنا بكتابنا، وابتعدنا عن

المعاصي كلما ألقى الله الرعب في قلوب أعدائنا، ولكن إذا ابتعدنا عن ديننا، واقترفنا المعاصي سلط الله علينا أعداءنا جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁



الوصية الأربعون:
«مَنْ أتى عرَّافاً أو كاهناً...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الأربعين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١).

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته من الذهاب إلى الكهنة والعرَّافين.

عباد الله! والذي دفعني للحديث عن هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات أن كثيراً من الناس يهرولون إلى الكهنة والعرافين، ويظنون بهم أنهم يعلمون الغيب، ويظنون أنهم ينفعون أو يضرون، قلوبهم قد تعلقت بالكهنة والعرافين، فالذي يريد المال يذهب إلى الكهنة والعرافين، والذي يريد الولد، يذهب إلى الكهنة والعرافين، والذي يبحث عن الشفاء يذهب إلى الكهنة والعرافين، نسوا الله فنسيهم، فحل بنا البلاء، ونزل بنا ما لا يخفى على ذي عينين وكل ذلك بما اقترفناه بأيدينا، فأردت أن أذَكِّر أن الذهاب إلى الكهنة والعرافين كفر بما أنزل على محمد ﷺ.

عباد الله! والعناصر التي سنتحدث عنها في هذا الموضوع هي:

أولاً: من هو الكاهن والعراف؟

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/ ٤٢٩)، ك: (١/ ٤٩)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

ثانياً: لا يعلم الغيب إلا الله.

ثالثاً: لا ينفع ولا يضر، ولا يشفي من المرض إلا الله.

رابعاً: حذر الإسلام من الذهاب إلى الكهنة والعرافين؛ لأن الذاهب إليهم سيدفع الثمن.

خامساً: نضع النقاط على الحروف ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فاسمعوا وعوا يا أمة الإسلام.

أولاً: من هو الكاهن والعراف؟

كلاهما دجال، وكذاب، وأفاك، وأثيم، كلاهما يدعي علم الغيب، كلاهما يتعامل مع الجن فيدفع الثمن، والثمن هو أن يشرك بالله ﷻ، والله ﷻ أخبرنا في كتابه عن ذلك فقال ـ تعالى ـ: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ۝٢٢٣﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣]. الذي تتنزل عليه الشياطين، والذي يتعامل مع الشياطين هو كل أفاك أثيم، هذا هو الكاهن، وهذا هو العرّاف الذي يدَّعي أنه يعلم الغيب، يدعي أنه يعرف المرض، يدَّعي أَنه يشفي من المرض، يدَّعي أشياءً أمام الجهلة من المسلمين ليأكل أموالهم بالباطل، وكما نرى مَنْ يهرول إليهم ويظن أن عندهم الشفاء، أو أنهم يعلمون الغيب.

العنصر الثاني: لا يعلم الغيب إلا الله.

أمة الإسلام! يجب على المسلم أن يعتقد في قلبه اعتقاداً جازماً أنه لا يعلم الغيب إلا الله؛ لأن الله ﷻ أخبر في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦﴾ [الجن: ٢٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، فلا

يعلم الغيب إلا الله، وأخبرنا الله في كتابه أن الرسل الكرام لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم به الله ﷻ عن طريق الوحي، فقال تعالى على لسان رسوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فهذا دليل على أن الرسول لا يعلم الغيب، وقال جل وعلا على لسان رسوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]. فالرسل الكرام لا يعلمون الغيب إلا ما أعلمهم به الله ﷻ عن طريق الوحي.

وكذلك أخبرنا الله ﷻ أن الجن لا يعلمون الغيب. قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤].

فالجن لا يعلمون الغيب، إذ مات سليمان وهو متكىء على عصاهُ والجن يعملون أمامه في العذاب المهين، ومع ذلك ما دلهم على موت سليمان إلا دابة الأرض عندما أكلت عصاه فخر واقعاً على الأرض، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين، إذن الرسل لا يعلمون الغيب، الجن لا يعلمون الغيب، وكذلك الملائكة لا يعلمون الغيب. قال تعالى للملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢]. وهذا جبريل وهو أفضل الرسل من الملائكة يسأل محمداً ﷺ وهو أفضل الرسل من البشر عن الساعة يقول له: متى الساعة؟ فيقول ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»(١)؛ أي: لا يعلم رسول الله ﷺ متى الساعة، ولا يعلم جبريل عليه السلام متى الساعة، فالرسل لا يعلمون الغيب، وجبريل من الملائكة المقربين ولا يعلم الغيب، ثم بعد ذلك أيها المسلم، تذهب إلى الكهنة والعرافين وتعتقد أنهم يعلمون الغيب؟!

فيا عبدَ الله إن قالوا لك شيئاً ووقع حقاً فاعلم بأنها كلمة واحدة يلقي بها الجني إلى وليه من الإنس فيكذب عليها مئة كذبة. سُئِلَ ﷺ عن

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٠)، م: (٨).

الكهان فقال: «**ليسوا بشيء**» قالوا: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة**»[1]. يذهب المريض الجاهل إلى الكاهن والعراف فإذا دخل عليه، ـ وهو قد جاء من مكان بعيد وإذا بالكاهن يقول له: أنت فلانٌ ابنُ فلان ابن فلانة مريض بكذا منذ كذا، وعندما يخبره بذلك يسلم هذا المريض لهذا الكاهن ويُصَدِّقه، ويؤمن بأن هذا يعلم الغيب، وأَن هذا من أولياء الله، لا يا عباد الله، إنه أخبره بذلك عن طريق الجن بعد أن سجد للجن من دون الله، ولا يعلم الغيب إلا الله.

العنصر الثالث: لا ينفع، ولا يضر، ولا يشفي من المرض، ولا يعطي الأموال والأولاد إلا الله.

عباد الله! كثير منا يعلم بأن الشافي هو الله، ومع ذلك يذهب إلى الكهنة والعرافين، كثير منا يعلم أن الذي يعطي الإناث والذكور هو الله، ومع ذلك إذا غاب الولد عنه بعض سنين ذهب إلى الكهنة والعرافين، فلم ينفع هذا العلم، ولا بد أن تكون هناك عقيدة راسخة في قلبك تخرج من هذه الدنيا عليها وهي أنَّ الأمر كله بيد الله ﷻ، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣]، إليه يرجع الأمر كله، تريد ولداً؟ تريد مالاً؟ تريد صحةً؟ تريد شفاءً؟ ارجع إلى الله، ارفع يديك في جوف الليل وادع الله فإليه يرجع الأمر كله، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٧].

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٨٥٩)، م: (٢٢٢٨).

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٧]، وقال تعالى ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠]، إنه عليم بأحوال عباده، قدير بأن يعطي هذا ويحرم هذا، وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠].

فالأمر كله لله، وقد أخبرنا الله عز وجل في كتابه أنه وحده من يجيب المضطر إذا دعاه، وهنا نقول للذين يذهبون إلى الكهنة والعرافين: من الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ أما تقرؤون كتاب الله يا أمة الإسلام؟! يا أمة التوحيد، يا أمة لا إله إلا الله، من الذي يجيب المضطر إذا دعاه؟ من الذي استجاب لأيوب عليه السلام فكشف عنه الضر؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

أمة الإسلام! من الذي استجاب لزكريا عندما طلب الولد وأعطاه الولد بعد أن دعاه؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

أمة الإسلام! من الذي أخرج يونس عليه السلام من سجنه المظلم البعيد؟ إنه هو الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

أمة الإسلام! من الذي أَخرج يوسف عليه السلام من السجن، وجعله أميناً على خزائن الأرض في بلاد مصر؟ إنه الله، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠٠، ١٠١].

أمة الإسلام! من الذي قال للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم؟ إنه الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

فيا أمة الإسلام، يا أمة التوحيد! يا من تهرولون إلى الكهنة والعرافين، من الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

أيها المسلم! بعد ما سمعت من أن الأمر كله لله أتذهب إلى الكهنة وإلى العرافين؟!

اعلموا أيها المسلمون: أن النافع هو الله، وأن الشافي هو الله، وأن المعطي هو الله، وأن المانع هو الله، فعلقوا قلوبكم بالله عز وجل، فهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يربي أمته على التوحيد، يقول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام** ـ أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ

لم يكن ـ **وجفت الصحف**»[(١)].

العنصر الرابع: الإسلام حذر المسلمين وحرم عليهم أن يذهبوا إلى الكهنة والعرافين، أتدرون لم يا عباد الله؟

لأنك إذا ذهبت إليهم فستدفع الثمن، والثمن غالٍ؛ إنه الدين إنها العقيدة، يقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»، هذا في حق السائل الذي ذهب إلى العراف وسأله وصدقه فما بالنا بالمسئول؟ فما بالنا بالكاهن والعراف؟ أظن أنه من باب أولى قد كفر بما أنزل على محمد، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**»[(٢)]. انظروا عباد الله إذا ذهب المسلم إلى الكاهن والعراف فسأله ولم يصدقه لم تقبل صلاته أربعين يوماً، وإذا سأله وصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد. ويقول ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها، فقد بريء مما أنزل على محمد**»[(٣)]. وقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر، ولا من تُطير له، أو تَكَهنَ أو تُكُهنَ له، أو تَسَحَّر أو تُسحر له**»[(٤)].

عباد الله! **أما العنصر الخامس، فهو أننا سنضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.**

أمة الإسلام! ظهر لنا في هذا العصر كهنة وعرافون بثوب جديد بلباس جديد، من رآهم ظن أنهم من أولياء الله، وهم من أشد الناس إفكاً وكذباً ودجلاً على الله ﷻ، هؤلاء يدَّعون أنهم يعلمون الغيب، ويدَّعون أنهم

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

(٣) **صحيح**: ت: (١٣٥)، هـ: (٦٣٩)، حم: (٢/ ٤٠٨)، مي: (١١٣٦)، هق: (٧/ ١٩٨)، [«ص.ج» (٥٩٤٢)].

(٤) **صحيح**: طب: (١٨/ ١٦٢)، [«ص.ج» (٥٤٣٥)].

يقومون بإجراء العمليات بدون جراحة، وعلى رأس هؤلاء شاب في مدينة «عمان» التي نعيش فيها، ومنكم من يعرفه، يدعي أنه يعالج ويقوم بالعمليات بدون إجراء جراحة، فنقول ـ واضعين النقاط على الحروف وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ـ:

عباد الله! الرازق هو الله، وعلى المسلم في هذه الدنيا أن يأخذ بالأسباب المشروعة للحصول على الرزق، فإذا أخذ بالأسباب غير المشروعة ليتحصل على الرزق فهو عاصٍ لله وللرسول، كالذي يعيش من وراء السرقة وهو أسلوب غير شرعي وصاحبه مجرم، وكذلك الذي يعيش من وراء الغش فذالك قد سلك طريقاً للرزق غير مشروع فكما أن الرزق من عند الله، والرازق هو الله فالواجب على المسلم أن يسلك طريقاً شرعياً للحصول على الرزق وأن يبتعد عن الأساليب غير المشروعة التي يتحصل الكثير بها على المال، نقول: وكذلك الشافي هو الله، فعلى المسلم في هذه الدنيا أن يأخذ بالأساليب المشروعة للشفاء كالذهاب إلى الطبيب، أو كالرقية المشروعة الثابتة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولكنه إذا سلك سبيلاً غير شرعي للحصول على الشفاء كشرب الخمر فهو آثم، فإنسان مريض إذا قال له قائل: إذا شربت الخمر شفيت من هذا المرض، هل يجوز له أن يتداوى بالخمر التي حرّمها الله؟ أظن أن الجواب من الجميع لا، كذلك لا يجوز للمسلم أبداً أن يذهب إلى الكهنة والعرافين للعلاج، وإن شفي على يد الكاهن والعراف؛ لأن هذا طريق غير مشروع قد حرّمه الله وحرّمه رسول الله ﷺ فهو حرام إلى يوم القيامة هذا **أولاً**.

ثانياً: نقول لهذا الشاب الذي أخذ يجمع الأموال من الناس ويأكل أموال الناس بالباطل ـ وأنا أُسرها لكم يا إخوة الإسلام ـ إن هذا العمل وهو الشعوذة والكهانة والعرافة والسحر هذا عمل العاطلين عن العمل في هذا الزمان، فإذا بحث الإنسان عن عمل ولم يجد قال: اشتغل في هذا العمل، وإن كان يؤدي إلى جهنم، المهم أنه عمل يتحصل منه على الأموال الطائلة، فكونوا من هؤلاء على حذر.

ونقول لهذا الشاب: هل أنت طبيب تخرجت من كلية الطب لتجيد إجراء العمليات؟ أظن أن الجواب منه لا، نقول له: هل أنت عالم تقي ورع مشهود لك في العالم الإسلامي بالعلم والفقه والتقوى والورع كما نشهد نحن لأحمد بن حنبل مثلاً، ولشيخ الإسلام ابن تيمية، وللإمام الشافعي وغيرهم هل أنت مثل هؤلاء حتى تقوم بالرقية المشروعة فيجعل الله الشفاء على يديك؟ أظن أن الجواب منه بصدق لا، والله ربما حتى صلاة الجماعة لا يصليها في المسجد فنقول له: إذاً كيف تعمل هذه العمليات؟ إذا أبى الجواب نقول له: نخبرك نحن، أنت تتعامل مع الجن، ولنكشف أوراقه ولنفضحه ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، حتى إذا ذهب أحدكم بعد ذلك إليه فلا يلومن إلا نفسه.

ولقد اتصلت امرأة بي هاتفياً وقد ذهبت إلى هذا الشاب الجاهل المشعوذ وتقول: بأنه قد أجرى لها عملية فقلت لها: وكيف أجرى لك العملية أخبريني بطريقة العملية؟ فأبت المرأة أن تخبرني بذلك، فيا أمة الإسلام، رجل مسلم يذهب بامرأته لتدخل مع شاب يتعامل مع الجن، ويدخلها في غرفة مظلمة يسكنها الجن، كيف أمن على عرضه؟! اتركها مريضة والشافي هو الله، أتفرط في العرض مقابل أن تمشي على رجليها مقابل أن تشفى من مرضها! الشافي هو الله، وما ظنكم بالله يا عباد الله!

ونقول لهذا الشاب: أنت تتعامل مع الجن، والإنسان إذا تعامل مع الجن قدم الثمن، فالجن يخدم، ولكن يطلب منك الثمن، والجن عندهم مقدرة عالية لا يقدر عليها البشر أما تقرءون القرآن؟ هذا عفريت من الجن قال لسليمان عليه السلام ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ﴾ [النمل: ٣٩]؛ أي: بعرش بلقيس يأتي به من اليمن إلى بلاد الشام فالجن عندهم مقدرة، وقد يستطيعون القيام بهذه العمليات، ولكن هذا طريق غير مشروع.

الذاهب إلى الكهنة قد كفر بما أنزل على محمد، والكاهن والعراف والساحر يقدم الثمن حتى يخدمه الجن، والثمن هو أن يكفر بالله، أن يشرك بالله، أن يكفر بما أُنزل على محمد ﷺ ولذلك ترى هذا الكاهن، وهذا العراف يضع كتاب الله في بيت الخلاء ليبول عليه فهل بعد هذا الكفر من كفر؟! أو تراه يكتب كلام الله بدم الحيض النجس، أو تراه يكتب كلام الله بالبول النجس وهل بعد هذا الكفر من كفر؟! أو تراه يسجد لصنم، أو تراه يذبح لغير الله، أو تراه يزني بأمه وأخته حتى يُرضي الشيطان، فإن فعل الكاهن ذلك وقدم الثمن قام الجن والشيطان بخدمته وبأي أمر منه كان، ومع ذلك فالجن يكذبون، والأصل فيهم الكذب كما قال ﷺ لأبي هريرة: «**صدقك وهو كذوب**»(١)، ويوم القيامة إذا حشر الإنس والجن: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨]، فالنار مثوى شياطين الجن ومن استعان بهم من شياطين الإنس.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن: ٦].

أخي الإسلام! لعلك إن ذهبت إلى هؤلاء، وضعوا لك السم في العسل كأن يتعاملون مع الجن بطلاسم لا تعرفها، ثم يقرءون عليك شيئاً من القرآن لتظن بجهلك أنهم يرقون بالقرآن فلا تنخدع فإنما جعل الله ﷻ الشفاء في القرآن، فاقرأ أنت أيها الزوج على زوجتك، اقرأ أنت أيها الوالد على ابنتك، اقرأ أنت أيها الأخ على أختك، وإياك إياك أن تذهب إلى هؤلاء.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٨٧).

يقول ﷺ: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»(١)، وقال ﷺ: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل صلاته أربعين ليلة**»(٢).

اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد،
اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد
اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/٤٢٩)، ك: (١/٤٩)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].
(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣٠).

١١٢

الوصية الحادية والأربعون:
«اجتنبوا السبع الموبقات..»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الحادية والأربعين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات!**» قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»(١).

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته فيقول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ أي: اجتنبوا السبع المهلكات التي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة ـ.

وسنتحدث في هذا اليوم عن واحدةٍ من هذه المهلكات ألا وهي «السحر»:

«**السحر**» مرض خطير، ومرض فتاك، قد عم وطم في هذا الزمان، وانتشر، وإننا نرى كثيراً من المسلمين يهرولون إلى السحرة، ويصطفون على أبواب السحرة، ظانين أنهم ينفعون أو يضرون.

بل والله الذي لا إله غيره إن كثيراً من المسلمين في هذا الزمان يخافون من السحر، ومن السحرة، أكثر مما يخافون من الله.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

وحديثنا عن السحر في هذا اليوم سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ما هو السحر؟ ومن هو الساحر؟ وما هو حكم الساحر في الإسلام؟

العنصر الثاني: الناس مع السحر طرفان ووسط.

العنصر الثالث: علاج السحر علاجان: علاج محرم غير مشروع، وعلاج حلال مشروع.

العنصر الرابع: نضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة.

عباد الله، ما هو السحر؟ هو عزائم، ورقى، وعقدٌ، وبخور، وحجب، وطلاسم يؤثر في القلوب، والأبدان فيُمْرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ١ ـ ٤]؛ أي: ومن شر الساحرات اللاتي يعقدن، ثم ينفثن في عقدهن.

إذن السحر عمل خبيث لا يقوم به إلا أخبث المخلوقات وهم شياطين الإنس والجن.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فالسحر عمل خبيث والقائم به أخبث المخلوقات، وهم شياطين الجن والإنس.

أمة الإسلام! أساتذة السحر في العالم قديماً وحديثاً هم اليهود لعنهم الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا

مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ـ وهم اليهود ـ ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٠ ـ ١٠٢].

ففي هذه الآيات ـ التي جاءت في سياق الحديث عن اليهود ـ يبيّن لنا ربنا جل وعلا أَن اليهود نبذوا كتاب ربهم وراء ظهورهم، وأقبلوا على السحر يتعلمونه ويعملون به، وينشرونه في العالم، فما من ساحر تعلم السحر إلا وتعلمه على أيدي اليهود فهم يقومون بالسحر، ويسحرون من شاءوا في بلاد المسلمين، فاعلموا ذلك عباد الله.

ثم يا أمة الإسلام! الذي يقوم بهذا العمل الخبيث هو الساحر بعد أن يتعاون مع قرينه من شياطين الجن، فالسحر تعاون بين شيطان الإنس ـ أي: الساحر ـ مع شيطان الجن ولكن كما قلنا في الجمعة الماضية: الجن لا تقوم بخدمة الساحر إلا بعد أن يدفع الثمن وهو الكفر بالله، أو الشرك بالله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

عباد الله! ومن أراد منكم أن يتعرف على كذب الساحر ومعاصيه فليدخل إلى بيت الساحر؛ ليكتشف ماذا يفعل هذا المجرم في كتاب الله، أو ماذا يفعل طاعة لوليه الشيطان، فإنهم يعملون أعمالاً في الخفاء لا يعلمها إلا الله، وإن ظهروا لنا بلحى، وإن صلوا معنا في المساجد، وإن ادعوا أنهم يقرءون القرآن، ولكن الواحد منهم إذا عمل حجاباً أو تكلم، أو دخل في غرفته المظلمة تكلم بالطلاسم، وكتب الخطوط المقطعة، والأحرف التي لا يعرفها إلا الجن، وهذا من الأسرار التي بينه وبين الشيطان وبذلك يقوم الجني بخدمته، ولأجل ذلك ولما كان الساحر جرثومة في المجتمع يفسد ويسعى في الأرض فساداً، ليضر بالناس، ويفرق بين المرء وزوجه كان حده في الإسلام الضرب بالسيف، هذا هو

حد الساحر في ظل الإسلام ضربة بالسيف تطهيراً لمجتمع المسلمين من أمثال هؤلاء.

كتب عمر الفاروق رضي الله عنه ـ في خلافته ـ إلى كل بلاد المسلمين: (أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ـ فقاموا بتنفيذ أوامره ـ وقتلوا ثلاث سواحر)(١).

وعن جُندبُ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**حد الساحر ضربة بالسيف**»(٢).

(وكان عند حفصة رضي الله عنها جارية لها، فسحرت هذه الجارية حفصة، فأمرت حفصة رضي الله عنها بقتلها)(٣).

ويقول الإمام مالك: (الساحر يقتل).

ويقول ابن حجر رحمه الله: (الساحر زنديق يجب أن يقتل)، ومن العلماء من قال الساحر يستتاب فإن تاب وإلا قتل، ومن العلماء من قال: الساحر يقتل دون أن يستتاب؛ لأنه كذاب وإن تاب أمام الناس فإنه قد يعمل السحر في الخفاء، وإذا فعلنا ذلك طهرت مجتمعات المسلمين من السحرة ومن إفسادهم.

أمة الإسلام! هذا هو السحر، وهذا هو الساحر، وهذا هو حكم الساحر في الإسلام.

العنصر الثاني: الناس في إثبات السحر ـ ومع السحر ـ طرفان ووسط.

الطرف الأول: من ينكرون السحر بالكلية كالمعتزلة ومن نهج نهجهم

---

(١) **صحيح**: د: (٣٠٤٣)، حم: (١/ ١٩٠)، فع: (١٧٦١)، قط: (٢/ ١٥٤)، ع: (٢/ ١٦٦)، بز: (٣/ ٢٦٨)، ش: (٥/ ٥٦٢)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ص.د» (٢٦٢٤)].

(٢) **ضعيف**: ت: (١٤٦٠)، ك: (٤/ ٤٠١)، قط: (٣/ ١١٤)، طب: (٢/ ١٦١)، هق: (٨/ ١٣٦)، [«ض.ج» (٢٦٩٩)].

(٣) طب: (٢٣/ ١٨٧)، عب: (١٠/ ١٨٠)، ش: (٥/ ٤٥٣).

فهم ينكرون السحر وقد ضلوا بهذا الإنكار ضلالاً مبيناً؛ لأنهم كذبوا بذلك الكتاب والسنّة.

الطرف الثاني: أثبتوا السحر وقالوا: إن له حقيقة، وإنه موجود، وإنه يضر وينفع ولكنهم غالوا في ذلك كثيراً حتى أنهم إذا شعروا بشيء في أجسادهم اعتقدوا أن ذلك من السحر، وإذا أراد أحدهم أن يتزوج مثلاً تراه يخاف من السحرة، وكثير من الناس إذا اشتكى رأسه قال: أنا مسحور، وإذا اشتكى بطنه قال: أنا مسحور، والفتاة إذا لم تتزوج قالوا: إنها مسحورة، والمرأة إذا لم تحمل قالوا: إنها مسحورة، والرجل إذا لم يجد عملاً قالوا: إنه مسحور، فأولئك علقوا القلوب بالسحر، وخافوا من السحرة، فحالهم هذا إفراط وتفريط، فطرف ينكرون السحر، وطرف يعتقدون في السحر ويخافون من السحرة حتى أصبحوا يقولون عن كل شيء: إنه من السحر، ونسوا أن يعلقوا قلوبهم برب العالمين.

والحق يا عباد الله هو الوسط الذين أثبتوا السحر واعتقدوا أنه موجود، واعتقدوا أَن له حقيقة، ولكن مع ذلك اعتقدوا أنه لا ينفع ولا يضر إلا بإذن الله فهم لا يخافون من السحرة، ولا يهابون من السحرة، ويعتقدون أن السحرة من كل بلاد الدنيا لو اجتمعوا في مكان واحد يكيدون لمسلم آمن بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ما ضروه أبداً، ولا نالوه بأذى ـ إلا أن يشاء الله ـ، وهذه عقيدة راسخة في قلوبهم يؤمنون بأن السحر موجود، والسحرة موجودون، ولكن لا يضر السحر ولا ينفع إلا بإذن الله، فإذا كان الأمر بيد الله ﷻ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فعلينا أن لا نعلق القلوب إلا بالله، وقد جاءت الأدلة من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا تبيّن أن السحر موجود فلا ننكره، وأن له حقيقة، وأنه يؤثر في القلوب والأبدان، وأنه يمرض ويميت ويقتل الإنسان، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، ولكن كل ذلك لا يكون إلا بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فهذا دليل على وجود السحر والسحرة.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا﴾ ـ أي السحرة ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، وفي الآية دليل على وجود السحر والسحرة.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا ـ أي السحرة ـ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأعراف: ١٢٠، ١٢١]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجود السحر والسحرة، أما من السنّة:

فتقول عائشة ﵂: (سُحِرَ رسول الله حتى يخيل له أَنه يفعل الشيء ولا يفعله، والذي سحره هو يهودي من بني زريق يسمى لبيد ابن الأعصم، ولكن الرسول ﷺ دعا ربه، واستغاث بربه، فرفع الله عنه هذا الكرب، وشفاه من هذا السحر)[1]، وهذا دليل على وجود السحر والسحرة، ويقول ﷺ في الوصية التي معنا: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» وذكر منها «**السحر**»، ويقول ﷺ: «**ليس منا من تَطَيرَ أو تُطير له، أو تَكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومن أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[2].

ويقول ﷺ: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**»[3]، فالأدلة من كتاب ربنا، ومن سنّة نبينا تبيّن أَن السحر موجود

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٣٠)، م: (٢١٨٩).

(٢) **صحيح لغيره**: [«ص.غ.هـ» (٣٠٤١)].

(٣) **حسن لغيره**: حم: (٤/٣٩٩)، حب: (٦١٣٧)، ع: (١٣/١٨١)، [«ص.غ.هـ» (٢٣٦٢)].

وأن له حقيقة لكنها تؤكد أنه لا يؤثر إلا بإذن الله.

أما العلاج من السحر والذي هو محرّم غير مشروع فهو الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر، وهذا ما وقع فيه الكثير يا أمة الإسلام، وللأسف الشديد ترى كثيراً ممن يصلّون، ويسمعون المواعظ ـ في شدة مرضهم ـ إذا قال لهم قائل: هذا فلان يقرأ القرآن فاذهب إليه يعرف مكان السحر، ويبطله لك ذهب إليه مهرولاً!.

عباد الله! حتى لو ذهب المريض المسحور إلى هذا الساحر وقرأ كما يدَّعي القرآن ثم نطق الجن على لسان هذا المسحور، وقال: فلان هو الذي سحرك، والسحر في المكان الفلاني، فالجني كذاب، والساحر كذاب، فكونوا من هؤلاء على حذر، وحتى لو أن الساحر عرف مكان السحر وأبطله بسحره فهذا عمل حرام وغير مشروع أتعلمون لِمَ يا عباد الله؟ لأن الساحر قبل أن يقوم بهذا العمل دفع الثمن وهو كفره بالله، وأنت أيها الذاهب إلى الساحر إذا ذهبت لتسأله فقط لم تقبل صلاتك أربعين يوماً، وإذا صدقته بما يقول فقد كفرت بما أنزل على محمد، فانظروا إلى هذا الثمن، إنه غالٍ، لم تقبل صلاتك أربعين يوماً إذا لم تصدق، وإذا صدقته واعتقدت بما يقول واعتقدت أَنه يعلم الغيب فقد كفرت بما أنزل على محمد.

• واعلموا عباد الله أن الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر استعانة بغير الله، والاستعانة بغير الله حرام.

واعلموا عباد الله أن الذهاب إلى السحرة لإبطال السحر استغاثة بغير الله والاستغاثة بغير الله حرام.

واعلموا أن رسول لله ﷺ قال: «**ليس منا من تطير أو تُطير له أو تكهن أو تُكهن له أو سحر أو سُحِرَ له**»[1]. فكونوا من السحرة والسحر

---

(١) **صحيح**: طب: (١٦٢/١٨)، [«س.ص» (٢١٩٥)].

على حذر، واعلم أيها الذاهب إلى الساحر أنك ستندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

عباد الله! أَما علاج السحر المشروع، والعلاج الحلال، والعلاج الفعال فكلنا نعرفه ولكن لا نعمل به وهذه هي الطامة الكبرى، وهو ما يلي:

أولاً: سلاحك، وحصنك الحصين ـ حتى لا يؤثر فيك هذا السحر ـ هو العقيدة الصحيحة، عقيدة التوحيد، أَن تعتقد في قلبك عقيدة صحيحة ثابتة راسخة لا تتزحزح من قلبك وإن تزحزحت الجبال من أماكنها بأَنه لا ينفع ولا يضر إلا الله.

يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكن من عباد الله، ولا تخف واستعن بالله ولا تعجز، واحتم بحمى الله ولا تخف ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فعلى المسلم أولّاً أن يحصِّن نفسه بالعقيدة. فإن كنت تصلي ولكن تعتقد أن الساحر ينفع أو يضر! فهذه عقيدة فاسدة، إن كنت تصلي ولكنك تستغيث بغير الله فهذه عقيدة فاسدة، وإن كنت تصلي ولكنك تستعين بالسحر لإبطال السحر، أو لعلاج المرض، فهذه عقيدة فاسدة.

ثانياً: عليك أن تحافظ على الأذكار، فذكر الله هو الحصن الحصين من السحر، والذاكر لله إذا عُمِل له السحر أو كاد السحر أن يؤثر فيه أبطله الله.

يقول الله على لسان موسى: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ [يونس: ٨١] أعرفتم يا أمة الإسلام من الذي يبطل السحر؟ إنه الله وحده.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ وأنتم تقولون: إن الساحر سيبطله! وحتى إن أبطله الساحر فحرام عليك أن تذهب إليه.

عباد الله! الذكر هو: أن تذكر الله عندما تنام، وأن تذكر الله إذا استيقظت من نومك، أَن تذكر الله إذا دخلت المسجد، أَن تذكره إذا خرجت من المسجد، أن تذكر الله إذا دخلت بيت الخلاء، أن تذكره إذا

خرجت من بيت الخلاء، أن تذكره إذا جامعت أهلك، أن تذكره إذا ذهبت إلى أي مكان، ويجب على المسلم أن يتعلم كيف يذكر الله ﷻ. وعليه أن يعلم أن مَنْ قال: لا إله إلا الله في اليوم مئة مرة كان في حرز من الشيطان طوال يومه، وأما من غفل عَنْ ذكر الله فذاك استحوذ عليه الشيطان قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

فذكرُ الله يبعد عنك شياطين الإنس والجن، وإذا ابتعدت عن ذكر الله هجمت عليك شياطين الأنس والجن ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

وأقول يا أمة الإسلام كثير من الناس يقول: أنا مسحور، فإذا قلنا له ما الدليل على أَنك مسحور؟ يقول أشعر بصداع ولا أنام الليل، أشعر بأرق، أشعر بضنك في الحياة، إلى غير ذلك نقول له: إن كلّاً منا يشعر بذلك وهذا ليس دليلاً على أَنك مسحور، إنما هذا إيحاء من الشيطان حتى تضل يا عبد الله، ونقول له: وإن افترضنا أنك مسحور فعليك بالذكر، وبدعاء الله ﷻ فبهذا تبطل هذا السحر، أَما أن تظن أن هناك أبطال من أبطال الرقى، ومن أبطال السحر، والتمائم، والتولة، وهم مَنْ يفكون عنك السحر، فلا يا عبد الله، إن هذا هو الضلال المبين.

عليك بسورة الفاتحة، احفظها، واقرأها بيقين فإن الله جعلها شافية، ووالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إن كثيراً من أصحاب العقيدة الصحيحة إذا ابتلي بمرض وضع يده على جسده وقرأ الفاتحة بعقيدة سليمة وإخلاص لله فإن الله ﷻ يشفيه، اقرأ آية الكرسي واحفظها، اقرأ آخر سورة البقرة اقرأ المعوذات، ففي كلام الله الشفاء، نعم، الشفاء بين أيدينا يا عبد الله أفتترك كتاب الله، أتترك القرآن الذي بين يديك، أتترك الفاتحة والمعوذات وتذهب إلى شيطانٍ من شياطين الإنس، وما هو إلا ساحر يصنع لك حجاباً، ـ والله أعلم بما وضع لك فيه ـ فتضعه في عنقك، وتظن أَن هذا الذي يدفع عنك الشر؟! إن هذا لهو الضلال المبين.

إخوة الإسلام! **العنصر الرابع**: هو أن نضع النقاط على الحروف ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حي عن بينة، فنقول يا أمة الإسلام: السحر هلاك فمن اقترب منه هلك سواء كان ذلك بتعليمه، أو بسؤال الساحر، فاجتنبوا السبع المهلكات ومنها السحر.

أمة الإسلام! الله ﷻ ربط الحياة الطيبة في هذه الدنيا وفي الآخرة بالعمل الصالح.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، فيا من تريدون الحياة الطيبة والسعادة والطمأنينة، والصحة، والغنى والوفاق في الحياة الزوجية، عليكم بالإكثار من الأعمال الصالحة وإلا فقد أخبرنا الله ﷻ أنه ربط الشقاء والضنك والكرب، والفقر والأمراض، والحياة التعيسة بالابتعاد عن الأعمال الصالحة وبالابتعاد عن ذكر الله تعالى. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، فاختر لنفسك ما شئت، واعلم أنك إذا كنت في ضنك في حياتك الزوجية، أو في مالك، أو في صحتك، أو كنت مسحوراً، أو مريضاً، فاعلم أن ذلك بسبب المعاصي.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠]، وإذا أردت أن تحيا حياة طيبة في كل شيء فعليك بالعمل الصالح، بالمحافظة على الصلاة، بالابتعاد عن قطيعة الرحم، بالابتعاد عن الربا، بالابتعاد عن الغيبة والنميمة. ابتعد عن المعاصي، وأقبل على طاعة الله، فمن عاش حياة طيبة فليحمد الله، ومن عاش في ضنك بسبب معاصيه فلا يلومن إلا نفسه.

ونقول: يا من تذهبون إلى السحرة أين تذهبون؟ أتذهبون إلى الهلاك والضلال! أتنفقون أموالكم في معصية الله! ماذا تستفيدون من الساحر؟ ماذا يفعل لكم الساحر؟ إنه بشر مخلوق لا يضر ولا ينفع، ولا ينفع حتى نفسه ولا يملك أن يكشف الضر عن نفسه فأين تذهبون؟

يا أيها المسلم يا من تقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ إلى أين أنت ذاهب؟! إلى الساحر! لينفعك أو ليضرَّ غيرك إن هذا هو الضلال المبين! يا من تذهبون إلى السحرة، احذروا فستندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

ونقول: يا معشر السحرة، ويا معشر الكهنة والمشعوذين، ماذا تفعلون؟! اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

• أيها الساحر يا من تفرّق بين المرء وزوجه، يا من تصنع السحر لتضر به الناس اتقِ يوماً تقف فيه بين يدي الله، اتقِ يوماً تُسْأَلُ فيه عن مالك من أين اكتسبته.

يا معشر السحرة، تكذبون على الله، وتكذبون على الناس، والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه إِن الساحر ليعلم أنه كذاب، وإنه ليضحك على الناس لا يريد إلا المال وهو يعلم أَنه يدجِّل على السذج من المسلمين.

فيا إخوة الإسلام! إياكم والسحر، إياكم والسحرة، فمن هلك بعد أن سمع فلا يلومن إلا نفسه، ومن وجد خيراً يوم القيامة فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد، اللّهم قد بلغت اللّهم فاشهد.

اللّهم يا ذا الجلال والإكرام، من ذهب إلى السحرة بعد ذلك وقد سمع ما سمع لا تزيده إلا ضلالاً، ولا تزيده إلا غياً، ولا تزيده إلا بعداً.

ومَنْ تاب وأنابَ إلىٰ الله، وعمل صالحاً فزده هدايةً على هدايته واحفظنا وإياه مِنْ كيد السحرة والمشعوذين.

❁ ❁ ❁

١١٣

الوصية الثانية والأربعون:
«لو أنَّ أَهل السماوات والأرض اشتركوا في دمِ مؤمن...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثانية والأربعين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»[(١)].

عباد الله! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر أمته من جريمة القتل، ويقول لهم: لو أن أهل السموات، وأهل الأرض جميعاً اشتركوا في قتل مؤمن لأكبهم الله جميعاً في نار جهنم، فإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على تحريم القتل.

أمة الإسلام! والذي دفعني للحديث عن هذه الجريمة في هذا اليوم بالذات هو ما نراه من التهاون في ارتكاب جريمة القتل.

فنسمع أن رجلاً قتل مؤمناً من أجل خمسة دنانير، وهذا رجل يقتل مؤمناً؛ لأنه تشاجر معه، وهذا رجل يقتل مؤمناً بسيارته وهو يسير بها بسرعة جنونية، وهذا رجل يقتل مؤمناً أو مؤمنة أو طفلاً بمسدسه عندما يطلق العيار في الهواء، وقد عشنا في هذا الأسبوع في جبهة من العيارات النارية وللأسف الشديد هناك من المصلّين من أطلق العيارات!!:

إن كنتَ لا تدري فتلك مصيبةٌ ... وإن كنتَ تدري فالمصيبة أعظمُ

---

(١) **صحيح**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٢٤٧)].

فنحن نسمع الأعيرة النارية تطلق في كل مكان فنسأل ما هذا؟ فيقولون: رجل يفرح بابنه الذي نجح في امتحان الثانوية العامة! الله الله يا أمة الإسلام! وما هي إلا أيام وجبهة أخرى من الأعيرة النارية تطلق في كل مكان، ما هذا يا عبادَ الله؟ فيقال لنا: هذا رجل يفرح بابنه أو ابنته عند الزواج، وما هي إلا أيام وجبهة أخرى أشد من التي قبلها، أعيرة نارية تطلق في كل مكان، ما هذا يا عباد الله؟ فيقال: لقد فزنا في مباريات كرة القدم.

يا أمة الإسلام! يا أمة التوحيد! يا أمة محمد! يا أمة لا إله إلا الله، أإلى هذا الحد وصلنا؟! أإلى هذا المستوى نزلنا؟! على من تفتحون هذه الأعيرة النارية؟ أتطلقونها إلى السماء على رب العالمين! وهذه الرصاصات التي ترتفع إلى أعلى أين تقع يا أمة الإسلام؟ إنها ستعود مرة ثانية إلى الأرض لتقع على رأس رجل آمنٌ في بيته، أو على رأس امرأة جالسة بين أولادها، أو على رأس طفل بريء فتقتله، فماذا تقول لربك يوم القيامة أيها المطلق لرصاصتك إذا تسببت في قتل امرئٍ بريء؟ فأردت يا أمة الإسلام أَن أحذر من جريمة القتل سواءً كان وقوعها عمداً أو كان ذلك خطأً، أو قتل الإنسان نفسه، فاسمعوا وعوا.

أمة الإسلام! انتشر القتل في هذا الزمان، وتهاونَ الناس فيه حتى إننا نرى القاتل واللهِ لا يدري لِمَ يَقتُل، ونرى المقتول يموت لا يدري لِمَ قُتلْ، وهذا يدلّ على اقتراب الساعة.

أمة الإسلام! القتل جريمة في حق هذا الإنسان المسلم، فالله ﷻ أوجد الإنسان في هذه الدنيا لعبادته، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

- وسخر الله ﷻ كل ما في هذا الكون لخدمة هذا الإنسان الذي خُلِقَ لعبادة الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

- وكرم الله ﷻ هذا الإنسان على جميع المخلوقات.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا ٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

- وحرم الله ﷻ قتل هذا الإنسان إلا بالحق، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـٔٗاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنٗاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقال ﷺ: «**أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»(١).

وهذا الحق الذي يبيح قتل المؤمن قد فسره رسول الله ﷺ فقال: «**لا يحل دمُ امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة**»(٢).

الثيب الزاني؛ أي: الرجل المتزوج إذا زنى رُجم حتى الموت والنفس بالنفس: أي من قتل مؤمناً متعمداً قُتل به قصاصاً، جزاء وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً. وأما المفارق لدينه التارك للجماعة؛ فهو من ارتد عن الإسلام. أما غير ذلك فلا يجوز أبداً لمسلم أن يقتل مسلماً إلا خطأً.

أمة الإسلام! وقد جاء الإسلام يحذر من القتل، سواء كان القتل عمداً، أو خطأً، أو أن يقتل الإنسان نفسه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥)، م: (٢٢).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٤٨٤)، م: (١٦٧٦).

• أما بالنسبة لقتل العمد فقد جاءت الآيات والأحاديث تحذر منه تحذيراً شديداً، قال الله ﷻ في كتابه محذراً من جريمة القتل العمد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

أمة الإسلام! وقد جاءت الأحاديث النبوية تحذر من جريمة القتل العمد فاسمعوا وعوا.

قال ﷺ في حجة الوداع: «**أيها الناس، إن دماءكم، وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...... ألا هل بلّغت اللّهم فاشهد**»(١) ويقول: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»(٢).

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ـ أي: المهلكات ـ، وذكر منها: «**قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق**»(٣).

---

(١) **صحيح**: خ: (١٦٥٢)، م: (١٦٧٩) انظر الخطبة بتمامها.
(٢) **صحيح**: م: (٢٥٦٤).
(٣) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

وقال ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق**»[١]، وقال ﷺ: «**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار**»[٢]. وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار**» قلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٤]، وقال ﷺ «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»[٥]، وقال ﷺ: «**ليس من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها**»[٦]. وقال ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً**»[٧].

أمة الإسلام! وتحذيراً من جريمة القتل العمد فقد أوجب الله علينا القصاص ردعاً للمجرمين عن ارتكاب جريمة القتل.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ [البقرة: ١٧٩].

فالمجرم إذا أراد أن يقتل، وعلم أَنه سيُقتل ارتدع عن القتل، فأحيا نفسه وأحيا الذي كان يريد أن يقتله وهذا معنى الحياة في الآية.

فإقامة الحدود والاقتصاص من القاتل حياة يا أولي الألباب، ففيه الحفاظ على أرواح المؤمنين، وأما يوم القيامة فهل تدرون ما أول ما

---

(١) **صحيح**: هـ: (٢٦١٩)، بز: (٦/ ٣٧٥)، هب: (٤/ ٣٤٥)، [«ص.ج» (٥٠٨٧)].

(٢) **صحيح**: ت: (١٣٩٨)، [«ص.ج» (٥٢٤٧)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣١)، م: (٢٨٨٨).

(٤) **صحيح**: خ: (١٢١)، م: (٦٥).

(٥) **صحيح**: خ: (٦٤٦٩).

(٦) **صحيح**: خ: (٦٨٩٠).

(٧) **صحيح لغيره**: د: (٤٢٧٠)، ن: (٣٩٨٤)، حم: (٤/ ٩٩)، حب: (٥٩٨٠)، ك: (٤/ ٣٩١)، طب: (١٩/ ٣٦٥)، [«ص.غ.هـ» (٢٤٤٥)].

يقضى فيه بين الناس يوم القيامة؟ اسمعوا، يقول ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[(١)]، يقول ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يجيء القاتل والمقتول يوم القيامة متعلق برأس صاحبه، يقول: يا رب، سل هذا لِمَ قتلني**»[(٢)].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير: ٨، ٩]، الموؤدة تُسأل بأي ذنب قتلت، وهذا سؤال تبكيت لقاتلها، وإلا فهي لا ذنب لها، فكيف يكون حال من وأدها وقتلها.

فيا من أطلقت الأعيرة النارية، إذا جاء الطفل الذي مات أو المرأة التي قتلت أو الرجل الذي قتل بسبب هذه الرصاصة فتعلق بتلابيبك يوم القيامة يقول: يا رب سل هذا لم قتلني؟ فماذا تقول لربك أيها المسلم؟ تقول: كنت أفرح بزواج ابني أو ابنتي! تقول: يا رب أطلقت الرصاصة فرحاً بنجاح ابني في الثانوية العامة! تقول: يا رب أطلقتها فرحاً بفوزنا في مباريات كرة القدم! ماذا تقول لربك يوم القيامة؟!

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

● أما بالنسبة للقتل الخطأ فحفاظاً على أرواح الناس أوجب الله ﷻ على من قتل مؤمناً خطأ الدية والكفارة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلى أن قال رب العزة: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

فالذي يقتل خطأ كالذي يقتل بسيارته أو أطلق عياراً نارياً لا يريد القتل ولكنه نزل على رجل أو امرأة أو طفل فقتله فهذا عليه الدية.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٧١)، م: (١٦٧٨).

(٢) **صحيح**: هـ: (٢٦٢١)، [«ص.هـ» (٢١٢٢)].

• والدِّية حق للمقتول وتعطى لورثته وهي: مئة من الإبل ولا يجوز لأحد أن يتدخل فيها، وإن أراد أهل المقتول أن يتنازلوا عن حقهم فلهم ذلك.

• أما الكفارة: فهي حق لله ﷻ لا تسقط أبداً عن القاتل خطأ وهي: عتق رقبة، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله.

عباد الله! القتل جريمة شنعاء فمن تورط فيها ندم في الدنيا والآخرة.

وقد حرّم الله على الإنسان أن يقتل نفسه سواء بسكين، أو بسم، أو أحرق نفسه، أو أغرق نفسه، أو خنق نفسه، فقد أعد الله له عذاباً شديداً يوم القيامة، قال ﷺ: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردَّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمًّا فقتل نفسه فسُمهُ في يده يتحساهُ في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدةٍ فحديدته في يده يَجَأُ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»(١).

وقال ﷺ: «**الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار**»(٢).

ويقول ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جُرحٌ فجزع، فأخذ سكيناً، فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حرَّمت عليه الجنة**»(٣).

فالانتحار جريمة عظيمة يظن المسكين أنه بعمله هذا، وبانتحاره سيستريح من هموم الدنيا، ونسى أنه بفعله هذا سينتقل من الدنيا إلى عذاب أليم، إلى أن يلقى الله يوم القيامة.

فيا عبد الله! القتل جريمة، فإياك أن تتورط في جريمة القتل

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٤٢)، م: (١٠٩). (٢) **صحيح**: خ: (١٢٩٩).
(٣) **صحيح**: خ: (٣٢٧٦).

سواء كان ذلك عمداً أو خطأ، وإياك أَن تفكر في أن تقتل نفسك، فوجودك في هذه الحياة نعمة من الله لتقوم بحق الله عليك وهو عبادة الله، ولا يجوز لإنسان أن يتعدى عليك بالقتل سواء أكان ذلك عمداً أو خطأ، ولا يجوز لك أن تتعدى على نفسك وأن تقتلها، فالله عز وجل يقول لك إن فعلت ذلك: «**بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**».

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



١١٤

الوصية الثالثة والأربعون:
«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الثالثة والأربعين:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[1].

عباد الله! رسولنا في هذه الوصية يحذر أمته من الصور والتماثيل ويبيّن لهم أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون.

أمة الإسلام! الصور والتماثيل لذوات الأرواح مظهر من مظاهر الوثنية، ومدخل من مداخل الشرك، جاء الإسلام وهو دين التوحيد فأغلق هذا الباب، وحرّم الصور والتماثيل.

عباد الله! وحديثنا عن هذا الموضوع في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: حكم الإسلام في الصور والتماثيل.

العنصر الثاني: رسالة إلى المصورين لعلهم يتوبون.

العنصر الثالث: العلة في تحريم الصور والتماثيل.

العنصر الرابع: سؤال وجواب.

---

(١) **صحيح**: حم: (٢/٢٦)، [«ص.ج» (٩٩٩)].

العنصر الخامس: نضع النقاط على الحروف؛ ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

العنصر الأول ـ حكم الإسلام في الصور والتماثيل ـ: لقد حرّم الإسلام الصور والتماثيل تحريماً قطعياً لأنها مظهر من مظاهر الوثنية، ومدخل من مداخل الشرك، فالله ﷻ في كتابه أعلن الحرب على الصور والتماثيل، فقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] فهم نحتوا التماثيل من الجبال وصنعوها بأيديهم وسجدوا وركعوا لها وعبدوها من دون الله فقال لهم إبراهيم ﷺ: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾، وأعلن الحرب على هذه الآلهة المزعومة فقال إبراهيم لقومه: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ۝٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ۝٥٨﴾ [الأنبياء: ٥٧، ٥٨].

ثم قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ۝٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧].

وهذا رسولنا الكريم ﷺ عندما دخل مكة فاتحاً لها بدأ بالأصنام التي كانت حول الكعبة فحطمها.

وجاءت السنّة المطهرة تحرم الصور والتماثيل، يقول ﷺ كما سمعتم في الوصية التي معنا: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون..**»، وقال ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»(١)، وقال ﷺ: «**قال الله ﷻ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة**»(٢). فجاءت الأدلة من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا تحرّم الصور والتماثيل تحريماً قطعياً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).

فيا أمة الإسلام! الصور والتماثيل حرام بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ولا يشك في ذلك إلا جاهل أو ضال.

العنصر الثاني: رسالة إلى المصورين لعلهم يتوبون: أيها المصور، أيها المسكين؛ اعلم أنك ملعون من الله، وملعون من رسول الله ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧] قال عكرمة في تفسير هذه الآية: (الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير)[١]. إذاً يا أمة الإسلام اعلموا أَن الذين يصورون هذه الصور قد لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً.

ولعن رسول الله ﷺ: «**آكل الربا، وموكله، والواشمة، والمستوشمة، والمصور**»[٢].

- فيا أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله ﷺ.
- أيها المصور، أنت بهذا العمل ظالم لنفسك وللناس.

يقول ﷺ: «**قال الله** ﷻ: **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»[٣]؛ أي: لا أحد أظلم ممن ذهب يخلق كخلق الله.

- أيها المصور، اعلم أنك بهذا العمل من شرار الخلق عند الله يوم القيامة، قال ﷺ: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»[٤].
- أيها المصور، اعلم أنك يوم القيامة ستخرج من قبرك عريانَ كيوم

---

(١) ش: (٥/ ٢٠٠)، حل: (٣/ ٣٣٨). (٢) **صحيح**: خ: (٥٦١٧).
(٣) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).
(٤) **صحيح**: خ: (٤١٧)، م: (٥٢٨).

ولدتك أمك، لتقف في أرض المحشر، العرق شديد، والزحام شديد، والأقدام حافية، والأجساد عارية، والأبصار شاخصة، وفي هذا الوقت يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٣]، أيها المصور، إذا جيء بجهنم إلى أرض المحشر، خرج منها عنق يخطفك من بين الناس، يقول ﷺ: «**يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصر بهما وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلهاً آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين**»[(١)].

فيا أيها المصور أتقدر على هذا الموقف يوم القيامة إذ تختطف من بين الناس إلى نار جهنم؟

• أيها المصور، أيها الظالم لنفسه، اعلم أَن عذابك عند الله يوم القيامة أليم ويقال لك: أحيي ما خلقت!! يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[(٢)].

جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنه يسأله عن الصور وعن التصوير، فقال ابن عباس للرجل: ادن مني، فدنا الرجل، فقال ابن عباس للرجل: ادن مني، فدنا الرجل، فوضع ابن عباس يده على رأس الرجل وقال له أُنَبِّئُكَ بما سمعتُ من رسول الله ﷺ؟ سمعته يقول: «**كل مصور في النار، يَجْعَلُ له، بكل صورةٍ صورها، نفساً فتعذِّبه في جهنم**»[(٣)].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٧٤)، حم: (٣٣٦/٢)، هب: (١٩٠/٥)، [«ص.غ.هـ» (٣٠٦١)].

(٢) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).

(٣) **صحيح**: م: (٢١١٠).

وقال ﷺ: «**من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ**»[١].

● فيا أيها المصور أتقدر على هذا العذاب؟! أتتحمل هذا العذاب؟!

● أيها المصور، أنت ملعون من الله، ملعون من رسول الله، فأنت ظالم لنفسك، أنت من شرار الخلق، وستخطف يوم القيامة من أرض المحشر، فالعذاب الأليم لك في نار جهنم، أفتقدر على هذا العذاب الأليم؟! الجواب لا، إذن تب إلى الله من هذا العمل الذي سيورثك ندامة إلى يوم القيامة وفي نار جهنم قبل فوات الأوان.

وإن كنت لا بد فاعلاً أيها المصور فعليك بتصوير ما ليس له روح، عليك بتصويرالأشجار، عليك بتصوير البحار، عليك بتصوير الجبال عليك بالمناظر الطبيعية، ولا شيء عليك في ذلك، أو عليك فقط بتصوير من كانت له ضرورة كالمعاملات الرسمية، يقول ابن عباس للرجل: «**إن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فاصنع الشجر وما لا نفس له**»[٢].

العنصر الثالث: العلة في تحريم الإسلام للصور والتماثيل.

عباد الله! **العلة الأولى**: هي مضاهاة خلق الله؛ أي: المشابهةُ لخلق الله كما سمعتم في الأحاديث يقول ﷺ: «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[٣].

وقال ﷺ: قال الله ﷻ: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي...**»[٤].

العلة الثانية: إنها مظهر من مظاهر الوثنية وباب من أبواب الشرك.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٨)، م: (٢١١٠).
(٢) **صحيح**: م: (٢١١٠).
(٣) **صحيح**: خ: (٥٦٠٧)، م: (٢١٠٨).
(٤) **صحيح**: خ: (٧١٢٠)، م: (٢١١١).

ففي الأمم السابقة عُبدت الأصنام والتماثيل من دون الله والسبب أنهم صنعوا تلك الصور وتلك التماثيل.

• انظروا إلى قوم نوح مثلاً فلقد عبدوا الأصنام، وأشركوا بالله ﷻ عندما صوروا صوراً لرجال صالحين للذكرى ثم طال بهم الأمد، وانتشر الجهل بين الناس فعبدوا هذه التماثيل من دون الله.

• وانظروا إلى قوم إبراهيم عبدوا التماثيل، وعكفوا عليها وأخذوا يعبدونها من دون الله، فقال لهم إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾. وربما سيقول قائل: أيعقل في هذا الزمان، ونحن في القرن العشرين، قرن التقدم، والحضارة ـ زعموا ـ أن يعبد الإنسان صنماً أو صورة أو تمثالاً؟ نقول: لا تتعجب ولا تستبعد ذلك فإنَّ في هذا القرن ـ الذي يزعمون أنه قرن التقدم ـ هناك من يعبد البقر إلى اليوم، وهناك من يعبد النار إلى اليوم، وهناك من يقول: إن الله هو المسيح ابن مريم، وهناك من يقول: إن عزير ابن الله، بل وهناك من يعبد الشياطين، بل وفيه من المسلمين من عبدوا أصحاب القبور من الأولياء والصالحين!!

مِنْ أجل هذا جاءَ الإسلام فأغلق هذا الباب، وحرم الصور والتماثيل سداً لهذا الباب الذي إذا فتح دخل الناس في الشرك.

العلة الثالثة: في تحريم الصور والتماثيل أَن الصور والتماثيل والأصنام تمنع من دخول الملائكة البيوتَ، فالملائكة يا أمة الإسلام لا تدخل بيتاً فيه كلب أو صورة يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»[(٢)].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: وعد النبي ﷺ جبريل فراث عليه ـ أي: أبطأ

(١) **صحيح**: خ: (٣١٤٤)، م: (٢١٠٦).

(٢) **صحيح**: خ: (١٩٩٩)، م: (٢١٠٧).

في النزول ـ حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ما وجد فقال له ـ أي: جبريل ـ: «**إنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب**»[1] فدخل ﷺ فوجد جرواً صغيراً؛ أي: كلباً صغيراً تحت سريره.

فيا أمة الإسلام، اتقوا الله في بيوتكم التي امتلأت بالصور المعلقة على الحائط، وامتلأت بالصور والتماثيل، ثم بعد ذلك أراكم تشتكون من الضنك ومن عدم وجود السعادة في بيوتكم! إن هذا بسبب ما اقترفت أيديكم، فأخرجوا هذه الصور، وأخرجوا هذه الأصنام والتماثيل من بيوتكم لتدخل ملائكة الرحمة؛ لأن ملائكة الرحمة إذا لم تدخل بيوتكم امتلأت بالشياطين، وبيت امتلأ بالشياطين لن يشعر صاحبه بطعم السعادة!

عباد الله! إذن حرَّم الإسلام الصور والتماثيل تحريماً قاطعاً ولا يشك في ذلك إلا جاهل.

أما العنصر الرابع في هذا الموضوع فهو: سؤال وجواب:

ولعل السؤال الذي يدور في خَلَد الجميع الآن هو هل يجوز للمسلم أن يتصور من أجل المعاملات الرسمية أو غير ذلك من الأشياء الضرورية ـ والإسلام قد حرم الصور؟

الجواب: اختلف العلماء في حكم الصور الفوتغرافية، ولكنهم اتفقوا على تحريم التماثيل والأصنام.

فهم اختلفوا في حكم الصور الفوتغرافية التي تُلتقط بآلة التصوير [الكاميرا] فمنهم من قال: إنها حرام، ولا تجوز إلا للضرورة؛ لأن الضرورات تبيح المحذورات، والضرورات تقدر بقدرها، فإذا احتاج المسلم إلى التصوير من أجل الضرورة فلا شيء عليه.

وقال الآخرون: التصوير الفوتغرافي حرام بكل أشكاله ولكن إذا

(١) **صحيح**: خ: (٥٦١٥).

استكره الإنسان على التصوير لسبب من الأسباب فلا شيء عليه؛ لأن الله تجاوز للأمة الإسلامية عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

فإذا استكره الإنسان على التصوير لضرورة ما، فلا شيء عليه.

والخلاصة: أن التصوير الفوتغرافي حرام، ولكن عند الضرورة يجوز إذا كان من أجل معاملة لا بد منها، وكتصوير المجرمين لمطاردتهم فإنه لا بد من ذلك، وهنا يجيز الإسلام ذلك، ولا شيء على المُصَوِّرِ ولا على المصوَّر.

فلا شيء على الإنسان المسلم أن يتصور من أجل الضرورة، ولا شيء على المصور أن يصور من أجل الضرورة، أما من غير الضرورة فلا.

العنصر الخامس: وهو وضع النقاط على الحروف ليهلِك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة.

فيا أمة الإسلام! إذا كان التصوير لا يجوز إلا لضرورة، فتعالوا بنا لننظر إلى أحوالنا:

أولاً: التصوير بالفيديو للعروسين ليلة العرس أهي ضرورة أم فضيحة؟ أجيبوا ففيكم مَنْ يجلس أمامي وقد تصور وصور.

ومنكم من يسمع الكلام من هنا ويخرجه من ها هنا، وكأننا نخاطب بشراً لا يعقلون، إذ نتكلم عن إطلاق النيران في الأعراس، ونتكلم عن الاختلاط والتبرج في الأعراس، ونتكلم عن تحريم الخمر، ثم بعد ذلك هناك منكم مَنْ يقع في هذه المحرمات بعد علمه!

يا أمة الإسلام! ما ظنكم برب العالمين! أنسيتم أنكم ستموتون! أنسيتم أنكم ستعرضون على رب العالمين! أنسيتم أنكم واقفون بين يدي الجبار يوم القيامة، ما الذي أصابكم تسمعون ولا تعملون؟! التصوير في ليلة العرس ضرورة أم فضيحة؟ أظن أن العاقل سيقول: إنها فضيحة.

عباد الله! والعاقل من اتعظ بغيره، والمسكين من اتعظ بنفسه.

• هذه امرأة مسلمة جميلة متحجبة، تعيش مع زوجها في أسعد حال، وتربي أولادها، ومرت الأيام وذهبت هذه المرأة المسلمة المتحجبة إلى عرسٍ لأحد أقاربها وفي نشوة العرس وبين التصفيق، والغناء، والموسيقى، ومع رقص النساء أمامها، قامت هذه المرأة المتحجبة، ونزعت أولاً خِمارها ثم جلبابها ثم قامت ترقص وكان هناك من يصور، وكما تعلمون فهم يصورون العرس من أوله إلى آخره، وهذا المجرم ـ وما أكثر من يصورون في الأعراس ـ كان إذا التقط لقطات تثير الشباب المنحرف المجرم قام ببيع هذه الأفلام في كل مكان، وصل هذا الفيلم إلى البلاد المجاورة، ومرت الأيام، وسافر زوج هذه المرأة إلى البلاد المجاورة وجلس مع أصحابه: فقال أحدهم تعالوا بنا ننظر إلى أجمل امرأة وهي ترقص في عرس ما وجلس معهم ينظر، وكانت المفاجأة إذ رأى زوجته هي التي ترقص وقد كشفت عن جسمها، وعن مفاتنها، وكان ينظر إليها القاصي والداني، فاغتم وحزن وكاد الرجل أن يموت هماً وغماً، وما كان منه إلا أن طلقها، فلما سألته عن سبب الطلاق؟ ذكر لها ما رأى، فقالت المرأة وهي تعضُّ على أصابع الندم: (طلقتني المعصية).

ثانياً: التصوير بين الأصدقاء والزملاء للذكرى.

• مثلاً رجل في عمل جلس مع زملائه من الرجال والنساء والتقط صوراً لأصحابه.

• طالب في الجامعة ذهب في رحلة مع صديقته ـ وكلكم يعلم ما هي رحلات الجامعات، ووالله الذي لا إله غيره ولا رب سواه وأقولها من هذا المكان: لا يسمح أحدٌ من الرجال لابنته أن تذهب في رحلة مختلطة بين الشباب والشابات إلا ديوث يقر في أهله المنكر ـ ذهب الشاب مع صديقته، وهناك بعيداً عن الأهل والأقارب التقط صورة مع صديقته للذكرى، وكيف كانت الصورة؟ متواضعة فقد تصور معها وهو يقبلها وعادوا من الرحلة ومرت الأيام، وتخرج كل من الشاب والشابة من الجامعة وذهب كل منهم إلى طريقه وتزوجت الفتاة من غيره وتزوج هو من

غيرها، ومرت الأيام وعمل هذا الشاب مع زوج تلك الفتاة في مدرسة ما. وسكنوا في مكان واحد بحكم الغربة، وهناك أخذ كل منهم يظهر ما عنده وما في ألبوم صوره من ذكرياته، فنظر الزوج وإذا بصورة زوجته تُقبلُ صديقه يوم أن كانوا يدرسون في الجامعة فما كان من هذا الزوج إلا أن طلقها.

صور الذكرى!! وأظنكم تعرفون ما هي صور الذكرى، فاعتبر بغيرك، واتعظ بمن قبلك قبل أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

ثالثاً: صور الأموات يا عباد الله! فإذا ماتت الأم أو الأب أو الصديق كبَّرنا صورته ووضعناها ضمن إطار، وعلقناها على الحائط! واللهِ ما سمعنا في كتاب ربنا ولا في سنة نبينا أن مِنْ بر الوالدين أن تُكبر صورهم ثم تُعَلَّق على الحائط. وليس هذا من البر، وإنما في هذا مخالفة لله ولرسوله، وهذا يمنع من دخول الملائكة، عبادَ الله، بر الوالدين يكون بالأعمال الصالحة بعد موتهما، أما تعليق الصور على الحائط في البيوت لتذكر الأَموات فهذا حرام ويمنع من دخول الملائكة وليس مِنْ بر الوالدين في شيء.

فيا إخوة الإسلام: ها أنا قد وضعت النقاط على الحروف، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة. ومن تاب تاب الله عليه، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❁ ❁ ❁

١١٥

الوصية الرابعة والأربعون:
«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...»

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن وصايا المصطفى ﷺ.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الوصية الرابعة والأربعين:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة، فقال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بَطْرُ الحق، وغمط الناس**»(١).

أمة الإسلام! رسولنا ﷺ في هذه الوصية يحذر من مرض خطير دب في الأمم السابقة فأهلكها، وها هو يدب في الأمة الإسلامية ـ إلا من رحم ربي ـ ألا وهو مرض الكبر.

وحديثنا عن الكبر في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ما هو الكبر؟ ومن هو المتكبر؟

العنصر الثاني: تحذير الرسول ﷺ من الكبر.

العنصر الثالث: رسالة إلى المتكبرين لعلهم يتوبون.

العنصر الرابع: العاقل من اتعظ بغيره.

---

(١) **صحيح**: م: (٩١).

العنصر الخامس: كيف تعالج الكبر في نفسك؟

أمة الإسلام! ما هو الكبر؟ الذي يعرِّفه لنا هو رسول الله ﷺ كما سمعتم في وصيته التي معنا حيث يقول: «**الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»، وبطر الحق يا عباد الله هو دفعه ورده كما فعل إبليس عليه لعنة الله، فرد أمر الله عندما أمره أن يسجد لآدم، فالذي منع إبليس من السجود هو الكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ ـ أي: رفض تنفيذ الأمر، والذي دفعه لذلك هو الكبر، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وهذا الرجل الذي أكل بشماله عند رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «**كُل بيمينك**»، فقال الرجل: لا أستطيع، فقال ﷺ: «**لا استطعت، ما منعه إلا الكبر**»، فشُلَّت يده فما رفعها إلى فيه[١].

فبَطْرُ الحق: هو دفعه وردّه، **وغمط الناس**: أي: احتقارهم؛ فالكبر مرض خطير يكمن في القلوب، ويظهر على جوارح المتكبر يدفعه إلى كل شر، ويحول بينه وبين كل خير.

عباد الله! **من هو المتكبر؟** المتكبر هو: الشخص المريض بالكبر وهو الذي يتكبر عن الحق وعلى الخلق.

• وهذا مثال لمتكبر تكبر على صاحبه الفقير بماله فكانت النتيجة أن أباد الله النعمة التي كانت بين يديه، أتدرون من هو هذا المتكبر؟ إنه صاحب الجنتين الذي ورد ذكره في سورة الكهف، حيث دخل جنتيه ونظر إلى ما فيهما من الثمار والأنهار فقال لصاحبه الفقير وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٣٦].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٠٢١).

فذكَّره صاحبه الفقير بأصله وقال له: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]، ومع ذلك أصر المتكبر بغناه على تكبره على صاحبه الفقير فكانت النتيجة: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الكهف: ٤٢].

فيا أمة الإسلام! كونوا من الكبر ومن المتكبرين على حذر.

عباد الله! جاء الإسلام يحذر من الكبر، ومن التكبر على خلق الله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسراء: ٣٧]. يا ابن آدم، لا تمشِ في الأرض مرحاً؛ لأنك مهما ضربت برجلك على الأرض فلن تخرق الأرض، ومهما رفعت رأسك على الناس فلن تبلغ الجبال طولاً، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

قال رسول الله ﷺ: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، ـ الضمير يعود إلى الله تعالى ـ فمن يُنازِعُني عذبتُه**»[(١)]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(٢)]، فما بالنا بالذي امتلأ قلبه بالكبر، وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ** ـ أي: الشخص الذي زنى وهو شيخ كبير ـ، **وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[(٣)] ـ أي: فقير متكبر ـ فجاء الإسلام يحذر من الكبر ومن التكبر.

العنصر الثالث: هذه رسالة نوجهها إلى كل متكبر، لعله يتوب، أو لعله يعالج نفسه من الكبر قبل فوات الآوان.

● نقول: أيها المتكبر، اعلم بأن الله ﷻ لا يحب المتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

---

(١) **صحيح**: م: (٢٦٢٠).
(٢) **صحيح**: م: (٩١).
(٣) **صحيح**: م: (١٠٧).

ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [النحل: ٢٣]، فيا أيها المتكبر، اعلم أنك بغيض عند الله، بغيض عند خلق الله.

● يا أيها المتكبر، اعلم بأن الكبر سبب لسوء الخاتمة، فالمتكبر يختم له بسوء العمل، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. يطبع الله على قلب المتكبر فلا يهتدي إلى الخير أبداً بل يبقى على ضلاله حتى يخرج من الدنيا على غير الإيمان فيكون مصيره إلى جهنم، قال ـ تعالى ـ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]؛ فهل رأيتم متكبراً جاء إلى درس علم ولو مرة واحدة، هل رأيتم متكبراً جاء إلى المسجد يصلي في جماعة؟ انظروا إلى الذين تكبروا على الناس بعشيرتهم وبصحتهم هل جاءوا إلى المساجد وهل صلَّوا في المسجد وهل حضروا دروس العلم؟ لا والله، ولكن الله ﷻ عاقب المتكبر بأن صرفه عن دروس العلم، وعن تعلم العلم الشرعي حتى يبقى في جهله إلى أن يخرج من الدنيا ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فإذا رأيت متكبراً لا يتعلم دين الله فاعلم بأن هذا عقاب من الله ليختم له بسوء عمله، وانظر إلى الذين تكبروا على الناس بأموالهم والذين تكبروا على الناس بمناصبهم تراهم حُرموا من كل خير.

● أيها المتكبر، اعلم أنك ستحشر يوم القيامة في أرض المحشر في أسوأ صورة! فالمتكبرون والجبابرة يحشرون يوم القيامة كأمثال الذر ـ أي: النمل الصغير ـ في صور الرجال تطأهم الأقدام، فسبحانك ربنا ما أعدلك! الجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً، المتكبر الذي تكبر على خلق الله؛ ورفع رأسه عالية في الدنيا عقابه يوم القيامة أن يحشر في صورته كأمثال الذر تطؤه أقدام الناس في أرض المحشر فتخيل نفسك أيها المسلم وأنت تطأ بقدمك رؤوس المتكبرين والجبابرة يوم القيامة، فالذل والهوان في أرض المحشر للمتكبرين، قال ﷺ: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان،**

يساقون إلى سجن في جهنم يُسمى: بُولُسَ تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارةِ أهل النار: طينة الخبال»[(١)]. فيا أيها المتكبر، اعتبر بحال المتكبرين في أرض المحشر وتب إلى الله.

● أيها المتكبر، اعلم بأن الله حرَّم الجنة على المتكبرين، فقال تعالى لإبليس عندما تكبر: ﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣]؛ أي في الجنة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص: ٨٣]، وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر**»[(٢)].

● أيها المتكبر، اعلم بأن الله ﷻ أعد النار، وما فيها من العذاب الأليم للمتكبرين على خلق الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٦﴾ [غافر: ٧٦]، وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**»[(٣)]، وقال ﷺ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم. قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذبُ بك مَنْ أشاءُ من عبادي، ولكل واحدة منهما مِلْؤها...**»[(٤)].

● فيا أيها المتكبر، تُبْ إلى الله قبل فوات الأوان، ثم نقول لك: العاقل من اتعظ بغيره، فيا أيها المتكبر، إذا دفعك مالك على أن تتكبر على خلق الله، فاعتبر بقارون، الذي كان من قوم موسى فبغى عليهم ـ أي تكبر عليهم بسبب المال فنصحه قومه وقالوا له: يا قارون ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۝٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ

---

(١) **حسن**: ت: (٢٤٩٢)، حم: (٢/ ١٧٩)، خد: (٥٥٧)، [«ص.ج» (٨٠٤٠)].
(٢) **صحيح**: م: (٩١).
(٣) **صحيح**: خ: (٤٦٣٤)، م: (٢٨٥٣).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٥٦٩)، م: (٢٨٤٦).

مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧]. ولكنه تكبر، ولم يستجب لنصيحة قومه ورد الحق، فكانت النتيجة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١]، فاعتبروا يا من تكبرتم بأموالكم.

● أيها المتكبر على الناس بقوتك وبعشيرتك وبصحتك اعتبر بعاد قوم أشداء ما خلق الله مثلهم في البلاد، قالوا: من أشد منا قوة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر: ٦ ـ ٨]، ماذا فعل الله بهم لأنهم تكبروا على الحق وعلى الخلق؟ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت: ١٦] والله ذكرنا بهم لنعتبر.

● يا من تكبرت على الناس بمنصبك ورئاستك ووزارتك وجاهك وسلطانك، اعتبر بفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١]، فكانت النتيجة لهذا المتكبر أن أهلكه الله فأغرقه هو وجنده في اليم، فاعتبروا يا أولي الألباب.

يا من تكبر على الناس بثيابه ولباسه، وتكبر على الناس بجمال خلقته فليعتبر بهذا المغرور المعجب بنفسه، قال ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلة تعجبه نفسه، مرجل جمته، إذ خسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة**»(١).

عباد الله! الكبر هو بطر الحق، وغمط الناس، والكبر مرض خطير جداً يكمن في القلوب، ويظهر على جوارح المتكبر يدفعه إلى كل شر ويحول بينه وبين كل خير.

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٤٥٢)، م: (٢٠٨٨).

والسؤال الذي يهمنا الآن هو:

كيف يعالج أحدنا نفسه من مرض الكبر؟

أولاً: أيها الإنسان، عليك أن تعرف ربك أولاً تعرفه بصفاته وأسمائه فالله ﷻ أخبرنا في كتابه فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٧]، وقال في الحديث القدسي: «**إن العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما عذبته**»[(١)]، ووصف نفسه سبحانه وتعالى فقال: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فالكبرياء لله وحده، والمتكبر هو الله ﷻ.

فيا ابن آدم اعرف ربك واستحِ أن تنازعه في كبريائه، فإنه لا يليق بك أيها العبد الفقير الضعيف أن تنازِع الله ﷻ في كبريائه.

الأمر الثاني: أيها الإنسان اعرف قدر نفسك يا مسكين وإذا كثر معك المال وزادت بك الصحة والقوة، ووصل بك المنصب مهما وصل، وملكت الدنيا من مشرقها إلى مغربها، فلا تنسَ نفسك أيها المسكين، وتذكر أصلك الذي هو الطين، ولا تقل: أنا ابن فلان أو أنا من عشيرة كذا وكذا، لا تنس نفسك وأصلك، وإذا كان أصلك الطين فأصلنا جميعاً سواء، ولا فرق في الإسلام بين عربي وعجمي إلا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] نعم أصلك الطين، وخلقت من نطفة من ماء مهين، فلا تنسَ ذلك.

وذاك الرجل الفقير قال لصاحبه المتكبر: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] فلا تنس أصلك.

واسأل يا ابن آدم نفسك ـ وأنت تتكبر ـ من أين خرجت من عند أبيك؟ من مجرى البول، وانظر إلى نفسك من أين خرجت من عند أمك؟

(١) **صحيح**: طس: (٣/ ٣٥٢)، طص: (١/ ٢٠٧)، هب: (٦/ ٢٨٠)، [«ص.ج» (١٩٠٨)].

وانظر إلى نفسك وأنت تتكبر على خلق الله في الدنيا وأنت تسير وتدب على الأرض، انظر ما في داخلك من الأقذار، ثم تذكر نفسك وأنت تتكبر ماذا ستكون بعد الموت ستكون جيفة نتنة، يأكلك الدود وينهش لحمك الدود، وأنت لا تتكلم ولا تتحرك لا حول لك ولا قوة، ثم تذكر نفسك يوم القيامة وأنت تخرج من قبرك عريانَ كيوم ولدتك أمك، ولذلك دعا ربنا على الإنسان المتكبر بالقتل قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: ١٧ ـ ٢٢].

فاعرف نفسك يا مسكين ولا تنسَ أصلك، لا تنسَ من أين جئت، ولا إلى أين تسير، فوالله لا قيمة لك إلا وأنت تعبد الله، وأنت تركع وتسجد لله، أما بدون ذلك فالحيوان عند الله أفضل منك.

ثالثاً: عليك أن تستعيذ بالله من الكبر ومن المتكبرين، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر: ٥٦].

أمرنا ربنا أن نستعيذ به سبحانه من الكبر، وعلمنا سبحانه أن نستعيذ به من المتكبرين، فقال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

رابعاً: علينا أن نتأسى بالمتواضعين وعلى رأسهم رسولنا ﷺ، فقد كان من تواضعه ﷺ أنه إذا دخل في بيته «**كان في مهنة أهله**»[١]، فكان ﷺ يكنس بيته، ويخيط ثوبه، وكان يفعل ما يفعل أهله، ما ينفصل عنهم إلا إذا نودي للصلاة فمن منا يفعل ذلك؟

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٤).

أظن أنَّ من يفعل منا ذلك في هذا العصر العجيب تواضعاً لله ﷻ احتقره الناس، وأصابوه بالكلام، ولكن هذا هو خير البرية، هذا هو خير البشر كان إذا دخل بيته يكون في خدمة أهله، وكان من تواضعه ﷺ: أنه إذا مر على الغلمان والصبيان الصغار سلّم عليهم وكانت الجارية تأخذ بيده في المدينة فيمشي معها حتى يقضي لها حاجتها.

اللّهم ارزقنا التواضع ونجنا من الكبر



١١٦

الوصية الخامسة والأربعون:
«عجباً لأمر المؤمن...»

عباد الله! الإيمان بالرسل الكرام ركن من أركان العقيدة الصحيحة، وقد بدأنا في الحديث عن الإيمان بالرسل الكرام، وتكلمنا عن أولي العزم منهم وانتهينا بالحديث عن رسول الله ﷺ، ومنذ عام تقريباً ونحن نتكلم عن وصايا المصطفى ﷺ.

وها نحن في هذا اليوم ـ يا عباد الله ـ مع الوصية الخامسة والأربعين والأخيرة من وصايا المصطفى ﷺ

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له»**(١).

عباد الله!: رسولنا ﷺ في هذه الوصية يوصي كل مؤمن أن يكون شاكراً في السراء، صابراً في الضراء؛ لأن الإنسان منا ـ يا عباد الله ـ خُلق في هذه الدنيا للامتحان والابتلاء، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢]. فالإنسان خلق في هذه الدنيا للامتحان وللابتلاء، والامتحان والابتلاء من الله عز وجل لك يا ابن آدم يكون بالسراء والضراء، ويكون بالشر والخير، ويكون بالحسنات والسيئات، كما قال ـ تعالى ـ:

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. فالمسلم في هذه الدنيا يتقلب بين السراء والضراء، وبين الصحة والمرض، وبين الفقر والغنى، وبين الشدة والرخاء، والواجب على المسلم أن يكون شاكراً في السراء، صابراً في الضراء.

● وقد أخبرنا الله ﷻ في كتابه أنه ابتلى عبده سليمان ﵇ بالسراء «أي: بالنعمة»، ومع ذلك فقد شكر سليمان ونجح في الامتحان والابتلاء فقال الله ﷻ عنه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠].

● وابتلى الله ﷻ عبده أيوب ﵇ بالضراء ـ أي: بالمرض والفقر والشدة ـ فصبر أيوب ﵇ ونجح في الامتحان، فقال الله ﷻ فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

إخوة الإسلام! ومن الأمور التي يتعرض لها المسلم في هذه الدنيا امتحاناً وابتلاءً من الله ﷻ فقدُ الأحبابِ وموتِ ولدٍ أو والدٍ أو أمٍ أو صديقٍ أو زوجةٍ أو غيرِ ذلك، وهذا ابتلاء من الله ﷻ للعبد، أن يفقد عزيزاً له امتحان من الله وابتلاء من الله ﷻ، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]، والمسلم الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، إذا ابتُلي بفقد أحبابه فعليه أن يرضى بقضاء الله وقدره، وعليه أن يصبر ويحتسب، وعليه أن يسترجع كما جاء ذلك في كتاب ربنا وفي سنة نبينا ﷺ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] .

قال أنس ﵁: مرّ رسول الله ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال:

«**اتقي الله واصبري**»، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك، فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**يقول الله** ﷻ: **ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد، لم يبلغوا حنثاً** ـ أي: أنهم ماتوا في سن الطفولة ـ **إلا أدخلهما الله الجنة بفضل رحمته إياهم**»[(٣)]، فعليك بالصبر عند البلاء، وعليك بالصبر عند المصيبة، يقول ﷺ: «**ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته، وأخلف الله له خيراً منها**»[(٤)].

فالمسلم العاقل الذي يؤمن بقضاء الله وقدره هو الذي إذا نزلت به مصيبة صبر واحتسب، ورضي بقضاء الله وقدره واسترجع، فهو يعلم أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله، ولا مانع للمسلم أن يبكي على فقد صاحبه، ولا مانع للمسلم أن يبكي لفراق عزيزه، ولكن على أن لا يصل البكاء إلى درجة النياحة.

- فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت حتى رأيت الدموع تسيل**»[(٥)].

- و(دخل ﷺ على ولده إبراهيم وهو في سكرات الموت فحمله

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٢٣)، م: (٩٢٦).   (٢) **صحيح**: خ: (٦٠٦٠).

(٣) **صحيح**: حم: (٥/ ١٥٣)، حب: (٤٦٤٣)، طس: (٥/ ٣٥٨)، ع: (١٠/ ٤٦٤)، ش: (٣/ ٣٦)، [«ص.ج» (٥٧٨١)].

(٤) **صحيح**: م: (٩١٨).

(٥) **صحيح**: د: (٣١٦٣)، ت: (٩٨٩)، هـ: (١٤٥٦)، حم: (٦/ ٥٥)، ك: (٣/ ٢٠٩)، لس: (١٤٢٤)، عب: (٣/ ٥٩٦)، ش: (٣/ ٤٥٣)، هق: (٣/ ٤٠٧)، [«ص.د» (٢٧٠٩)].

وقبَّله وشمَّه وأخذت عيناه تذرفان، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: «**يا ابن عوف إنها رحمة**»، ثم قال ﷺ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[1]، فلا مانع للإنسان من أن يبكي على صاحبه وعزيزه الذي مات، ولكن عليه أن لا يصل إلى درجة النياحة التي قد حرّمها الإسلام.

إخوة الإسلام! إذن على المسلم إذا ابتلي بالضراء وبفقد عزيز له أن يصبر، وأن يحتسب ذلك عند الله، وأن يرضى بقضاء الله وقدره، وأن يسترجع. فإن فعل ذلك فقد نجح في الامتحان، وكان صابراً في الضراء، ولكن انظروا معي عباد الله إلى كثير من المسلمين في هذا الزمان ـ إلا من رحم ربي ـ فإنهم إذا نزلت بهم مصيبة الموت وفقدوا عزيزاً لهم تراهم يفعلون أشياءً لم يفعلها أهل الجاهلية وكأنهم لم يسمعوا بالإسلام ولم يعلموا شيئاً عن الإسلام.

فمن الأمور المحرّمة التي يقع فيها كثيرٌ من الناس إذا نزلت بأحدهم مصيبة الموت ـ ولعل منهم من يصلي ـ وللأسف الشديد:

أولاً: النياحة. وهي أمر زائد عن البكاء، والنياحة كانت في الجاهلية قبل الإسلام إذ كانت النساء يقفن متقابلات يصحن، ويحثين التراب على رؤوسهم، ويضربن وجوههن، فهذه هي النياحة، فهل هي موجودة بين نساء المسلمين في هذا الزمان؟ نقول: نعم موجودة عند الجهلاء الذين لم يعلموا أو علموا ولكن لم يرضوا بقضاء الله وقدره!

عباد الله! إذن والنياحة من أمور الجاهلية التي حرّمها الإسلام. يقول ﷺ: «**أربع بقين في أمتي من أمر الجاهلية ليسوا بتاركيها: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت، وإن النائحة إذا لم تتب قبل الموت جاءت يوم القيامة عليها**

---

(١) **صحيح**: خ: (١٢٤١)، م: (٢٣١٥).

سربال من قطران، ودرع من لهب النار»[١]، وقال ﷺ: «**اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت**»[٢].

وتقول أم عطية رضي الله عنها: (أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعة ألا نوح)[٣]، وقال ﷺ: «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**»[٤].

فاتق الله في نفسك يا عبد الله وربِّ أولادك على أن يفهموا أن ذلك حرام، بل أوصِ بذلك واكتب في وصيتك لأهلك ولأقاربك ألا ينوحوا عليك حتى لا تعذب في قبرك، وإن وصيت وأمرتهم ونهيتهم عن النياحة ثم فعلوا ذلك فلا شيء عليك، ولكنك إن مت وأنت مقصر في نهيهم عن النياحة فسيصلك العذاب في قبرك بما نيح عليك بعد الموت.

ثانياً: من الأمور المحرّمة التي يفعلها الكثير من الناس إذا نزلت بهم مصيبة الموت: ضرب الخدود، وشق الجيوب، وضرب الخدود: هو اللطم، وشق الجيوب: هو أن تشق المرأة ثوبها أو يشق الرجل ثوبه قال ﷺ: «**ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[٥].

ثالثاً: من الأمور المحرمة التي يفعلها كثير من الناس، حلق الشعر، ورفع الصوت عند المصيبة.

يقول أبو موسى رضي الله عنه: (إني بريء ممن برىء منه رسول الله ﷺ، **إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة)**[٦].

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٣٤٣)، ك: (١/ ٥٣٩)، طب: (٣/ ٢٨٥)، هب: (٤/ ٢٩٠)، [«ص.ج» (٨٧٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٦٧).

(٣) **صحيح**: خ: (١٢٤٤)، م: (٩٣٦).

(٤) **صحيح**: خ: (١٢٣٠)، م: (٩٢٧).

(٥) **صحيح**: خ: (١٢٣٢)، م: (١٠٣).

(٦) **صحيح**: خ: (١٢٣٤)، م: (١٠٤).

الصالقة: هي التي تصرخ عند المصيبة، والحالقة: هي التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها عند المصيبة، وأولئك قد برىء منهم رسول الله ﷺ.

رابعاً: من الأمور المحرّمة التي حرّمها الإسلام: «**نشر الشعر**»، فإنك ترى المرأة إذا مات لها عزيز نشرت شعرها وكأنها شيطانة.

تقول امرأة من المبايعات لرسول الله ﷺ: (كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا ألا نخمش وجهاً، ولا ندعو ويلاً، ولا نشق جيباً، ولا ننشر شعراً)(١)، فبالله عليكم يا أمة الإسلام أترون من نسائنا في هذا الزمان من إذا نزلت بها مصيبة شقت ثوبها، ونشرت شعرها، وأظهرت لحمها للناس وخرجت إلى الشارع تحثو التراب على رأسها، وتنوح بدعوى الجاهلية؟! وزوجها يفعل مثلها؟ بل ومن النساء من تفعل أشد من ذلك فقد تحلق شعرها، وترى الرجل يحلق لحيته، فإذا نزلت به مصيبة أطلق لحيته مدة العزاء ثم بعد ذلك يحلقها.

وهذا يا أمة الإسلام حرام وأولئك سقطوا في الامتحان!

يقول ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له**»(٢).

عباد الله! إذن المسلم الذي يؤمن بقضاء الله وقدره، والذي يعلم إنه في هذه الدنيا مبتلى ـ ومن الابتلاء في هذه الدنيا فقد الأولاد والأحباب ـ فعليه أن يصبر وأن يحتسب وأن يسترجع إذا نزلت به مصيبة.

ومن الأمور التي تعين على الصبر إذا نزلت مصيبة الموت.

أولاً: أن تعلم أيها المسلم أن الله كتب الموت على جميع الخلائق

---

(١) **صحيح**: د: (٣١٣١)، طب: (٢٥/ ١٨٤)، هب: (٧/ ٢٤٠)، هق: (٤/ ٦٤)، [«ص.غ.هـ» (٣٥٣٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

كما أخبرنا في كتابه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: ٢٦].

ثانياً: أن تعلم يا عبد الله بأنها آجال، والآجال بيد الله ﷻ لا يعلمها إلا هو، فإذا انتهى الأجل انتقل الإنسان من هذه الدنيا إلى ربه سواء كان في سن الطفولة أو في سن الشباب، أو في سن الشيخوخة، سواء كان غنياً أو فقيراً، سواء كان وزيراً أو حقيراً، سواء كان نائماً أو مستيقظاً، سواء كان راكباً في الهواء أو راكباً في البحر، فإنما هي آجال قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]. فالمسلم يعلم بأن الله كتب الموت على جميع الخلائق، ويعلم بأنها آجال وإذا جاء الأجل انتقل الإنسان إلى ربه.

ثالثاً: أن تعلم يا مسلم أن رسول الله ﷺ وهو أحب الخلق إلى الله، ـ وهو أحب الخلق إلى قلوبنا ـ قد مات وانتقل إلى ربه، والإنسان إذا تذكر مصيبة المسلمين في موت رسول الله ﷺ هانت عليه مصيبته، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الإنسان: ٣٤]. فيا أيها المسلم، يا من نزلت بك مصيبة الموت، أو نزلت بأحد أحبابك، اعلم بأن الرسول ﷺ قد مات، وكلنا سنموت، ولكن والله من مات على الخير فهنيئاً له، ومن مات على الإيمان والطاعة فهنيئاً له، ومن مات وهو ذاهب إلى الصلاة أو راجعاً من الصلاة، أو ذاهباً إلى درس علم أو راجعاً من درس علم فهنيئاً له.

أما من مات وهو آكل للربا أو شارب للخمر، أو من مات وهو

عاكف على المعصية فذلك قد خاب وخسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

رابعاً: اعلم أيها المسلم يا من نزلت بك مصيبة بفقد أحبابك أن الله أمرك بالصبر، فقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، واعلم بأن الرسول ﷺ قال للمرأة: «**اتقي الله واصبري**»[١]، وقال ﷺ: «**الصبر ضياء**»[٢]، وقال ﷺ: «**وما أعطي أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**»[٣]، وقال ﷺ: «**ومن يتصبر يصبره الله**»[٤].

ويوم القيامة يوفي الله ﷻ الذين صبروا أجرهم بغير حساب كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

فيا أخا الإسلام أنت في هذه الدنيا مبتلى بالسراء والضراء، فكن في السراء شاكراً، وكن في الضراء صابراً، بذلك تنجح في الامتحان والابتلاء وتخرج من الدنيا والله راضٍ عنك لتكون يوم القيامة من أصحاب الجنة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم
أن يخرجنا من هذه الدنيا على الإيمان

❀ ❀ ❀

(١) **صحيح**: خ: (١٢٢٣)، م: (٩٢٦).
(٢) **صحيح**: م: (٢٢٣).
(٣) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).
(٤) **صحيح**: خ: (١٤٠٠)، م: (١٠٥٣).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.